

سید قطب

نور

مہتاب الشیخ علی بن الحیاء

و شعر الجیل الحاضر

۸۱۰,۹۹

۵۷۵ ق

۳۲

السعر: ۵۰

مَهْمَا لَشَعْرًا فِي الْحَيَاةِ

وَشَعْرًا بِجِيلٍ الْحَاضِرِ

١٧٢١٨٠

٢٤٨٩١١

الفهرس

صفحة

٧

كلمة للعربي الفاضل الامتاز مهدي علام

١٣

مهمة الشاعر في الحياة

١٧

من هو الشاعر ؟

٢٩

الخيال في الشعر

٦١

ذوق الشاعر

٧٩

التعبيرات الشعرية

٨٧

شخصية الشاعر

تقديم

هذا مجهود ضئيل ، صغير الحجم ، أعد ليكون محاضرة فحسب ، فلا يحتاج الى مقدمة تبين أغراضه وتوضح اتجاهه ، فهو ذاته يصح أن يكون مقدمة لمبحث كامل في موضوعه هذا ، مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر ، ! وسيكون ... !

وإذا كانت الظروف لانهية اليوم الا طبع هذا البحث الصغير دون غيره مما بين يدي ، فاني أطمع في فرصة قريبة أكثر توفيقاً .

والذي أريد أن أقوله في مقدمة هذا المجهود الضئيل ، الصغير الحجم : أن أم ما فيه ، اقتناعي بما فيه ، اقتناعاً كاملاً متغلغلاً في نفسي ، حتى لهو جزء من عقيدتي ، أدافع عنه كما يدافع كل مؤمن عن عقيدته .. وإذا لم يكن لي فضل « الرسالة » بهذه العقيدة الأدبية ! فاني مقتنع بأن أكون من أشد أنصارها دفاعاً عنها ، وأن أحاول ما استطعت توطيد أركانها ، والزيادة في بنائها . واني لفخور بذلك بقدر ما أنا مقتنع به !

هذا أهم ما أريد أن أقوله عن الموضوع ، مضافاً اليه أنني تعمدت أن أختار أمثلي من مجهود الشبان الناشئين ، الذين لم يعرفوا في عالم الأدب إلا قليلاً ، وأنني لمستريح الى أن أكون واسطة معارف بين

المشتغلين بالأدب ، وبين خمسة من الشعراء الحديثين الذين تجرهم الشهرة الزائفة والصحيحة في تيارها ، وقد تغنى عليهم فلا يسمع لأصواتهم صدى ، وسط ضجيج الشهرة وصخب المشهورين !

وقد اخترت للاستاذ العقاد قطعة واحدة ، لم أكن مختاراً في اختيارها بل مضطراً لذلك اضطراراً ! ، لاني لم أجد في موضوعها ما يماثلها ، في كل ما قرأت من الشعر العربي القديم والحديث ، وكنت أصور المثل الأعلى في نقطة خاصة ، وكانت هذه القصيدة ، نموذجاً لذلك المثل الذي أريد !

ولست بهذا وذلك ، حاقداً على المشهورين ، أو محاولاً تشويه مجهوداتهم ، فالشباب لا يعرف الحق ، لأن الحق طبيعة الضعفاء ، الذين لا يستطيعون ، فيحققون ! ... انما أريد فقط ، أن أشق للناشئين طريق التعارف ، وأريد أن أطلع الأمة على أنها بخير ! ، وأنها لم تصب بالمقم الفني بعدما أخرجت هؤلاء المشهورين !

يقول الدكتور طه حسين : « انك تبحث عن الشاعر الشاب الذي نشأ في هذه الأعوام فصرف جماعة من الشباب عن شوقي ، وحافظ ، ومطران ، فلا تجده ، وعن الكاتب الشاب الذي ظهر فاستحدث مذهبا في النثر صرف بعض الناس عن هيكول والغازي والعقاد فلا تظفر به » .

ولكن الدكتور في هذا ينسى فعل الزمن الطويل الذي جعل لهؤلاء الأدباء تلك المنزلة ، وينسى طبيعة العصر الذي نشأ بعضهم فيه

وظروفه العامة والخاصة ، وينسى عمل هؤلاء المشهورين على تشجيع بعضهم البعض ، والاشادة بذكرهم ، وتقارض الثناء بينهم ، وعمل بعضهم - على الأقل - على محاربة الناشئة ومنعهم من الظهور ...

وأريد أن أقول للدكتور الفاضل : ان هذا الشباب الثاني المغمور لن يقنع بقسمته تلك ، ولن يهن أمام العقبات ، وسيعمل لنفسه كما عملوا لأنفسهم ، ويخلص لجهوده ، كما أخلص لجهودهم من قبل ، فلم يكافئوه على إخلاصه . وسيمتاز عنهم بالألا يكون أثراً ، وبأن يكون معهم ، أفصح صدراً مما كانوا معه . والمستقبل كفيل !!!

المؤلف

كله للرئيس الفاضل الأستاذ مهدي علام

حينما عزمتم على طبع هذا المؤلف الصغير ، كان في نيتي أن أقدم به
للقرءاء في هدوء يناسب حجمه وقيمه ؛ وعلى هذه النية تم طبع الكتاب
بمقدمته الطبيعية التي كتبها له ، وفي اللحظة الأخيرة شاء الرب
الفاضل الأستاذ مهدي علام ، أن يضيف الى فضله علي بصفته
« استاذاً » فضلاً جديداً بكتابة هذه الكلمة ، وما أحسب ما جاء بها من
ثناء إلا طرفاً من طريقته الحكيمة في الترية ، وهي اتهام طلابه بالفضائل ؛
بقصد التوريط !!!

وأني إزاء هذا المظهر السامي ، والعاطفة التي أجلبها وأشعر بقدامتها
لا أجد ما أرد به ، إلا أن أعمل على أن أكون في الغد خيراً مني اليوم ،
وبعد خيراً مني في الغد ، وهو ما أرجو أن أوفق إليه .

وهذه هي كلمة الاستاذ الربيعي الحكيم

مختارتي الحياتة

لقد كان من بواعث اغتباطي ، أن أشرفت على القاء هذه المحاضرة ،
بدرج « دار العلوم » مهد العلم والأدب ، الذي قال فيه الرحوم الامام
الاستاذ الشيخ « محمد عبده » : ان باحثاً مدققاً ، لو أراد أن يعرف أين
تموت اللغة العربية وأين تحيا ، لوجدها تموت في كل مكان ، وتحيا في
« دار العلوم » .

ولئن كنت قد قدمت المحاضر « سيد قطب » بأنه طالب يسرني أن
يكون أحد تلاميذي ، فإني أقول اليوم - وقد سمعت محاضراته - انه لو لم
يكن لي تلميذ سواء ، لكفاني ذلك سروراً ، وقناعة ، واطمئناناً إلى أنني
سأحمل أمانة العلم والأدب ، من لا أشك في حسن قيامه عليها .

لقد كتبت منذ أسبوع كلمة قدمت بها كتاب « تاريخ اللغات السامية »
لنجم آخر من نجوم « دار العلوم » هو « جودت الطحلاوي » وقد قلت
في تلك الكلمة : إن في « دار العلوم » اليوم نهضة عملية أدبية ، يحمل
لواءها نفر من أعز أبنائنا علينا . وإني حين ذكرت ذلك كنت أفكر في
رهط ، أعد « سيد قطب » في طليعهم .

بمعجبي في كاتب هذه المحاضرة جرأته الحازمة ، التي لم تسفه فتصح

تهوراً ، ولم تذل فتندو جيناً وإن هذه المرأة الرشيدة التي دعته الى الاستقلال بالرأي في بحثه - حتى ولو خالفنا في بعض ما نعتقده من الآراء الادبية - لبي التي تجعله أحب الى قلوبنا . ولا ترد هنا في أن أعلن أنه قاس على « شوقي » قسوة لا أعفها له . لقد نقب في شعر شوقي ، حتى أخرج منه سقطات لا يسلم منها فحل من فحول الشعراء في أي عصر أو في أية أمة . وليس ذلك من الانصاف ، لان لشوقي كنوزاً عظيمة من الشعر الخالد ، كان جديراً بالمحاضر أن يضمها في كفة ، وتلك السقطات في كفة أخرى ولست أشك في أنه إن فعل رجح كفة الحسنات ترجيحاً . على أنني لو سلمت له جدلاً بأن جميع ما ذكر عن شوقي صحيح ، لكان من القلة ، إزاء مجوره الزاخرة ، بحيث لا يقدح في منزلته ، ولا ينزله عن عرش الشعر الذي قلما نازعه فيه منازع .

و « سيد قطب » باحث ثائي ، تعجبي منه عصبية البصيرة ، واشادته بذكر الشعراء الناشئين من أمثاله . وهو جد موفق في اختياره لهم ، وليس أقل توفقاً في اختياره من شعر نفسه ، وإن ستره تواضعه وراء ستار أو شاعر ثائي .

وقصاري القراء ، أن أقول لهم : إنني أعد « سيد قطب » مفخرة من مفاخر « دار العلوم » ، وإذا قلت « دار العلوم » فقد عنيت دار الحكمة والادب .

٢٨ فبراير سنة ١٩٣٢

محمد مهدي علام
أستاذ التربية بدار العلوم

ملاحظة :

مع احترامي الكثير لما ذكره أستاذي عن شوقي

اني أميل الى أن أقرر : أنني فيما ذكرته في محاضرتي لم أكن بصدد اصدار حكم على شوقي ، وإنما اخترت أمثلة من شعره ، وإذا كنت قاسياً في تعليقي ، فذلك قسوة على المثال الذي اخترته لا قسوة على شوقي نفسه . وإن كان رأيي في شوقي كله ، بعد دراسة كاملة لكل ما أنتجه ، لا يختلف كثيراً عن تعليقي على الأمثلة المختارة وبهذه المناسبة أعد بأن أكتب نتيجة دراستي لشوقي في محاضرة أو كتاب آخر ، يتسع للبحث والدراسة والاستقصاء ، ويكون رأيي اذ ذاك مؤيداً بكل ما أنتجه شوقي بلا استثناء .

وأنا أعود فاشكر لأستاذي الفاضل أن حفزني الى إخراج مبحث جديد .

★ ★ ★

مهمة الشاعر في الحياة

- ١ -

الشعر والفنون الجميلة والفلسفة

مهمة الفنون الجميلة :

الشعر أحد الفنون الجميلة - أو المثل الرفيعة كما يسميها العرب (١)
وأكبر مهمة لهذه الفنون جميعها أن تقوم واسطة بين ما هو كائن وما
يجب أن يكون ، وإن تهربنا من المثل الأعلى ، الذي نرؤى إليه ، كلما عز
علينا بلوغه في عالم الحقيقة .

وهي في كل صورها زراعة إلى الكمال المنشود ، وإن اختلفت طرائقها في هذا
النزوع . فهي إذ تصور الخير محضاً خالصاً ، تدعو إلى هذا الخير المحض الخالص .
وهي إذ تصور الشر خالصاً كذلك تدعو للاشمئزاز منه وهجرانه . وهي تنجح
في بعض الأحيان إلى تصور الخير والشر يتنازعان ، ولكنها تشير إليك من طرف

(١) وأنا أميل إلى تسميتها بالمثل الرفيعة ، لأن في هذا الاسم إشارة إلى مهمة
الفنون الجميلة وهي الدعوة إلى المثل الأعلى .

خفي ، أن تأخذ بناصر الخير ، ليفوز ، ويتغلب على منافسه الخبيث .
ووسيلة هذه الفنون جميعها ، أن تخاطب العاطفة ، فيما تريد أن تبثه من
مبادئ أو تصوره من احساس . وهي تختلف في وسائل المخاطبة ، وكما
قلت هذه الوسائل كان الفن أقرب الى العاطفة . وأدنى الى طبيعة
الجمال الرقيقة .

منزلة الشعر من الفنون الجميلة

وقد تكون الموسيقى على ذلك هي الاولى في عالم الفن الجميل ، لأنها
تخاطب العاطفة بأقرب وسيلة ، وبواسطة مبهمه غير محدوده ، فما هي الا
نغمات غامضة ، تسري الى النفس ؛ لا تستطيع أن تعبر عنها تعبيراً دقيقاً ،
وان استطعت أن تشعر بها شعوراً عميقاً . ثم يلي الموسيقى في ذلك الغناء ،
ويجيء الشعر في المرتبة الثالثة ثم يتلوه التصوير فالتحت أو يتقدمان عليه
إذا لاحظنا غموضها عنه في التعبير .

وإذن فالشعر قيمته بين هذه الوسائل التي تربطنا بالمثل الاعلى
وتدنيننا منه رويداً رويداً . وليس لغواً في هذه الحياة يعث به العاشقون ،
ويرتقب من الدجاجة والمهرجين . وليس بضاعة مزجاة تباع وتشترى في
الأسواق أو تتخذ حبال لقضاء المصالح والاستزاق !

وإذن فالشعر كما قلت الوسائط بينه وبين العاطفة في الخطاب كان
أبلى وأسمى وكان أدخل في كيان الجمال ، وأكثر حساسية وشعوراً .

وإذن فالشعر الذي يفرق في النظريات المحدودة ، والحكم الجافة ،

ليس شعراً بالمعنى المراد . والشعر الذي يخاطب السمع والبصر ، مقتصر
عليها ، لا يعدو أن يكون شعراً سطحياً ، إذا عزت الاسماء ، فلم نجد
لفظة غير لفظة الشعر نطلقها عليه !

أما هو الشعر الذي يحدثك في أعماق نفسك ، ويصف لك الشعور
الحساس وصفاً غامضاً مبهماً ، يدع لشعورك أن يتطلق ، ونحيا لك أن يتيه ،
لأنه لا يضع أمامك مقاييس وحدوداً ، ولكنه يدعك في ميدان فيسيح
من عالم الروح الرحيب .

الشاعر والفيلسوف :

ولقد يؤخذ من ذلك أننا نوافق تلك الجملة المحفوظة : « أعذب الشعر
أكذبه ! » والتي يفهم منها الناس أن الشعر والدجل شيء واحد وأن
الشاعر والمهرج اسمان لسمى !

لا . لا زيد ذلك ، بل نحن نعتقد أن الشاعر أعرف بالحقيقة من
الفيلسوف . ولكنه يختلف عنه في التعبير لأنها يختلفان في إدراك هذه
الحقيقة ، وفي طريقة إدراكها .

فأما الفيلسوف ، فيأخذ مكانه في منزل عن الحياة بقدر ما تهيم له
طبيعته ، ويشرف عليها من عل ، ثم يسجل حركاتها ، ويحصى ظواهرها ،
كما يتصورها بفكره وعاطفته جميعاً .

وأما الشاعر فيغمس في الحياة ، يحس باحساسها ، ويشعر بشعورها ،
ويتفاعل وإياها ، ثم يتحدث عنها بما يحس ، أو بما يريد أن يتحدث
عن نفسها !

ولنا أن نقول : أن الذي يشعر ، أصدق من الذي يشاهد . وإن كان الثاني يلوح أدق في التعبير . ذلك أن الشاعر يسرح في جو غير محدود ، وأما المشاهد ، فهو حاسب دقيق . لديه وسائل القياس . وعدة الوزن والكيل في جوه المحصور للعلوم .

* * *

١ من هو الشاعر

الشاعر الحقيقي بهذا اللقب إذن ، هو الذي يحس بالحياة إحساساً عميقاً ، ويترجم عنها للأحياء . هو الذي صاغته الحياة ليكون واسطة بينها وبين أبنائها الآخرين . فهو إنسان ممتاز . لأن الحياة صاغته على مثال خاص ، ليؤدي لها مهمة خاصة ، لا يضطلع بها كل فرد من الأفراد . وهو لكي يؤدي مهمته على الوجه الأكمل ، لا بد أن تتوافر فيه صفتان أساسيتان .

الاولى : أن يكون إحساسه بالحياة أدق وأعمق من إحساس الجماهير ، على شريطة ألا يقطع الصلة بينه وبين الجماهير . بحيث يكون ذلك الإحساس واضحاً يميز عن إحساس كل من الآخرين .

الثانية : أن يعبر عما يحسه بهذه الطريقة ، تعبيراً أصح من تعابير الجمهور . مظهراً في تعبيره هذا نفسه ، وتأثيراتها بما شاهدت وأحست . لا أن ينقل لنا الصور كما تراها سائر العيون . وبعبارة أخرى أن تكون له في الحياة فلسفة خاصة به . منشؤها إحساسه الشخصي ، يفسر الحياة على ضوءها ، ويظهر للناس بعنوانها .

وتجد بعض من يدعون أنفسهم ، أو تدعوهم الجماهير شعراء ، تجده
يصف لك الليل ، فلا يعدو أن يقول : ان الجو ظلام ، والحركة هادئة
والأحياء كلهم ساكنون !

وهو إذ يقول ذلك في ثوب خلاب من الالفاظ ، وبريق وهاج من
الاسلوب ، يعد نفسه أدبى وأجيبه كشاعر ، وخلص من ذلك الواجب
السامي الذي ناطته به الحياة !

ولكننا لا نريد أن نقبل منه هذا الاحساس السطحي الزهيد الذي
لا يعد على كل انسان أن يدركه ، لأنه يتعلق بالعين والأذن ولكل فرد
من الناس عين وأذن !

انما نريد أن يحدثنا الشاعر عن أثر ذلك الهدوء في نفسه ، وروعة
هذا الظلام في خاطره ، ورهبة ذلك الخشوع الشامل الاطراف .

نريد أن يصور لنا ما وراء الماديات المحسوسة ، مما يعته الكون
الساهي في نفسه ، وما يوحيه الليل الرهيب من ذكرياته وأشجائه ،
ومقدار ما يحسه من تقلقل الليل في مجاهل الأبد ، ومقدار ما أودعته
الطبيعة من أسرارها ، وما قصدت اليه من وجود هذا الليل فيها .

نريد أن يقف أمام هذا الليل كما وقف أمامه شاعرنا الثاني ، وعلى
أفندي عبد العظيم « من قصيدة طويلة في الليل ، يقول فيها :

مد الظلام على الآفاق سلطانا

وطروق الليل وديانا وكيانا

وبات يسبح فكري في غياهبه

حتى لتحصيه في الكون ربانا

وراح يصطحب الازمان مقتحما

ما لم يحسن وقفه منها وما حانا

ثم يخاطب الليل :

ما أنت يا ليل الا مسرح حجب

أستاره خلفها أسرار دنيانا

طوبت أسرار هذا الكون في سدك

لا نستطيع لها كشفا وتباننا

يا ليل بح لي بهما ان كنت تعلمها

يا ليل حسبك اخفاء وكتماننا

أكان صمتك عن عي وعن حصر

أم كان صمتك اغضاء واهواننا !

أم أنت تجهلها مثلي فتكرها

أم أنت تبعث فيها الفكر ادماننا !

مشاكل تترك الالباب حائرة

تسير بجائها شكا وإيماننا !

★ ★ ★

يا ليل كم فيك آيات محجبة

يظل فيها شهاب الفكر حيرانا

تطوي النهار وتطوي في نيلجه

فما لك كيك لا ينفك جولانا ؟

وعيت أخبار من مروا . فهل نبأ

عنهم يظن التري تفغي به الآنا ؟

حيث الحياة أتشري ما مصائرنا

أم كنت عن سرها يا ليل غفلانا ؟

قل لي : أترطبها بالكون رابطة

تبقى إذا دام أو تفنى إذا بانا ؟

أني لا سمع وحيأ منك بلهني

ولست آلوه تصديقا وإيقانا

إن الحياة متبقى جد خالدة

تفني ونعمر أكوانا فأكوانا !

ذلك النوع من احساس الشاعر بالليل ، ووقفته أمام روعته الشاملة

وهو احساس ينبثنا في الوقت نفسه عن جانب من فلسفة الشاعر في

الحياة ونظراته اليها . وليس مجرد كلام يقال !

ولقد نجد الشاعر المحسوب على الشاعرية ظاهرا وبنثانا ، يحدثك عن

حييته ، فإذا هو موظف في قلم تحقيق الشخصية ، أو سلك الشرطة

السري ، يشبه أحد المجرمين !

اللون قمحي ، والعيون عسليه ، والعنق كذا ، والرجل والذراع

والخصر والجيد ... الخ . فهذه الجيبة في نظره عبارة عن هذه الاشلاء

المزقة من العيون والحدود والنحور ، والارداق والخصور . وهي

ليست انسانة حية ، يشملها معنى روحي واحد ، يتراءى للشاعر وحدة

جامعة ... هي في نظره كتلة لا قوة ! فهو يعبر عنها بالوزن والقياس ،

لا بالحن والشعور ، فهو ليس محبا لهذه المخلوقة ، ولكنه موكل فقط

بوصف ظواهرها ، التي يراها كل انسان .

ولن نقبل نحن من شاعر مثل هذا الوصف الممزق لحييته انما نريد

منه أن يحدثنا عنها : كيف يراها ، وكيف تمثل في خاطره ، وكيف

شعوره بها ... الخ

وانا لنعجب في هذا المعنى الشامل بقطعة الأستاذ العقاد ، ونعدها

مثلا أعلى في هذا المقام :

يا رجائي وسلوتي وعزائي

وأليفني إذا اجتواني الأليف

تبشيني فلست أعلم ماذا

منك قلبي بحسنه مشغوف

كل حسن أراك أكبر منه

إن معذاك قالد وطريف

لست أهواك للجمال وإن كما

ن جميل لا ذاك الحيا العفيف

لست أهواك للذكاء وإن كما

ن ذكاء يذكي النهى ويشوف

لست أهواك للدلال وإن كما

ن ظريفا يصبو إليه الظريف

لست أهواك للخصال وإن رف

علينا منهن ظل وريف

أنا أهواك أنت « فلا شيء

سوى « أنت » بالفؤاد يطيف

إن حبا يا قلب ليس بمنسيك

جمال الجليل حب ضعيف

هكذا « أهواك أنت » هي بعينها ، لأنها هي بعينها ، وهذه الأجزاء الجميلة فيها - الجمال والذكاء والدلال والخصال - لم تكن لتحب لديه إلا لأنها فيها ، فتكسب هذه الأجزاء حبه من حبه لحبيته ، التي هي وحدة جامعة ، وروح شاملة ، تدركها النفس أكثر مما تدركها الحواس .

زبد هذا النجوم الشعر ، والا يكن ، فإن الشعر براء من الوصف الشوه الذي لا يوصف به إلا القتلة والمجرمون !!

★ ★ ★

ولقد نعلم أننا منجذ من الكثيرين مخالفة ، كبيرة أو صغيرة وأن تقديرنا للشاعر وما نطلبه في الشعر ، سيبدو كثيرا مبالغا فيه وانما يبحث إلينا هذا الاعتقاد أن تقدير الشعر لا يزال حتى اليوم في أولى درجاته ، رغم الجهود التي بذلها المجددون في تصحيح ذلك التقدير ، ولا يزال

هناك طوائف من الجاهل ، والتصدين بالبحث في الأدب أنفسهم ، تقنع من الشعر بأزهد درجاته ، ظانة أنه الشعر العالي الثمين !

وكل ما بيننا وبين هؤلاء من فروق في تقدير الشعر ، أننا لا نقنع من الشاعر بالتصور السطحي ، والاحساس العادي ، بينما هم يقنعون .

وأننا لا نتقيد بالحدود التي منها القدماء وغير القدماء في تقديرهم وتقديم ، بينما هم لا يزالون مقيدين .

وأننا نعتقد أن المثل الأعلى للشعر وغير الشعر ، انما هو في المستقبل لأن الكمال أو ما يقاربه يتراءى في الامام ، وقد نكون اليوم أقرب إلى هذا المثل من المصور السالفة . بينما هم يرون أن المثل الأعلى في الماضي ، ولا يمكن أن يكون بحال ، في الحاضر ولا في المستقبل ، ولا سيما في الشعر الذي يقيسونه بمقياس القدم كالتيثا

فالشعر الجاهلي أفضل الشعر ، ويلييه شعر صدر الاسلام فالأمويين فالعباسيين ، وهكذا حتى نحجي إلى عصرنا هذا الحاضر فاذا الشعر - في نظرهم - متأخر منقطع ، لا بل كل شيء غير الشعر كذلك . فنحن إذن ملزمون في عرفهم ، أن نقدر كل ما يتصل بالماضي وأن نقضي فيه حتى نفقد أنفسنا ، وأن نقدر الشعراء السابقين ، كما صنع كثير من شعرائنا المشهورين الآن ، الذين ارتفعوا في غفلة من الزمان !

ذلك هي الفروق بيننا وبين هذه الطائفة ، وهي التي تجعلنا نعتقد أن لا بد من مخالفتهم لنا فيما نطلبه في الشعر ، وفي تقديرنا للشعراء .

ثم نحن في الوقت نفسه نكاد نفقد من التفاهم مع هؤلاء ، لأنه

ليست للفنون مقاييس محدودة ، وتعاريف معلومة . حتى يسهل الاقتناع أمام البرهان . وإنما هي راجعة إلى الذوق والشعور قبل كل شيء : فأنت لكي تفاهم مع آخر على مسألة في نقد الفن ، يجب أن يكون بينكما اتصال شعوري . وتشابه نفسي ، حتى تستطيعا إيجاد أساس للفاهم فإذا لم يكن ذلك فلا فائدة في الجدل ، ولا جدوى في المناقشة . وليس هناك من طريقة لفاهم إذ ذلك إلا الأمثلة . وهي أيضاً تختلف في التقدير . فأنت تعجب بقصيدة ، لا يعجب بها سواك ولا تستطيع افهامه وجهة نظرك بالتحديد .

ومع هذا كله فسنحاول قبل أن غضي طويلاً في موضوعنا أن نبحت في هذه الفوارق . وأن نقارب بين وجهتي النظر . فإذا لم يجسد ذلك ، فحسبنا هذا الشباب الناهض المتفتح للحياة ، القابل لفاهم بلا تعصب طويل .

الشاعر والمصور :

يقولون لنا : إن الشاعر ليس مكلفاً أن يحدث عن خواطره في كل مرة ، وأن يرسم لنا الأثر الذي خلفته المؤثرات في نفسه . وبحسبه أن يجيد تصور ما يراه ويسمعه ، كما رآه وكما سمعه . ثم يسألوننا في لحظة التنصر الظاهر : أليس الذي يصنع ذلك يكون مصوراً ، والمصور في هذا العهد ، يجد الكثيرين ممن يفضلونه على الشاعر ؟

وهنا غمالة كبرى لابد من تصحيحها : بتدريج هذه الغمالة في الخلط بين الشاعر والمصور وطريقتها في التعبير ، وتنتهي في تقدير المصور ذاته واعتباره ناقلاً عن الأصل بلا تصرف ولا ابتكار .

فأولاً ليس المصور والشاعر سواء في طريقة تعبيرهما : فالشاعر لديه متسع لتسلسل المعاني وعرضها من البدء للنهاية ، أما المصور فيلا يستطيع أن يعرض الفكرة من مبدئها إلى نهايتها بل يعمد إلى أظهر حلقة منها ، وأبرز نقطة ، فيلتقطها ويصورها ، ويدع للناظر بعد ذلك أن يبحث عن أوائل السلسلة ، ويتتبع أواخرها . وهذا هو الفرق الرئيسي بين المصور والشاعر ، الذي يفرقها ، ويحيط لكل منهما طريقة في التعبير .

وثانياً أن المصور يملك من وسائل التصوير الحسي ما لا يملكه الشاعر فله الريشة والزيت والخبر والفحم والبستيل... الخ . والمحاكاة له سهلة ميسورة ، أما الشاعر فلا يملك إلا ألفاظاً يصوغها ، لا يستطيع بحال أن يخرج صورة حسية ، فإن أخرجتها كانت ولا شك مشوهة ، وخير منها ألف مرة ، صورة فتوغرافية على « كارت بوستال » !

هذا كله من وجهة أولى ، ومن وجهة ثانية ، أن المصور الفنان هو الذي يخلق على الصورة ظلاً من نفسه وحياله ، وتظهر في صورة شخصيته واضحة متميزة . أما الذي يكتب في تقليد الأصل أو التصرف في النقل فقط ، فهو المصور المبتدي الذي لم يرتفع بعد إلى درجة الفنان .

هذا هو المفروض في المصور ، بله الشاعر . فإذا نحن سلمنا جدلاً أن الشاعر والمصور سواء ، كانت النتيجة أن الشاعر الذي ينقل الصورة كما هي لا يعد فناً ... فالذين يريدون من الشاعر أن يكون مصوراً ناقلاً فقط ، إنما يخرجون به أولاً عن طبيعته الأولى ، طبيعة الشاعر

مصور المواطنف ، أو الناظر كما يراها هو لا كما تراها مائر العيون .
وهم ينحطون به ثانية الى مرتبة صفار البصيرين . الأمر الذي لا نطبق أن
ننزل الشاعر الى مستواه كما يريدون .

ولقد يكون النموذج في هذا الموضع خير ايضاح لما نريد . وها نحن
أولاء تقدمه . فلقد وقف الشاعر الناشئ ، عبد العزيز عتيق ، أمام ربح
دارس مهتم الجوانب ، يراه القادي والرائع ، فما هو الا منزل قديم في
نظر الرائحين والقادين ، لا يستلفت الا نظار ، ولا يوحى للخواطر شي .
الهمم الا الاشمئزاز والاحتقار . أما في نظر الشاعر فهو شبح كاسف
شجي ، يتيه في تأمله الخيال ، ويوحى بشئ الأحاديث . وها هي
ذي القصيدة :

الطلل البالي

هو ربيع طامس العهد خرب
مظالم الأرجاء مفقود القطرين
كان بالأمس يوشيه الصبا
وعلى دارته العز حبا
لحف نفسي ماله اليوم حبا
ضومه الزاهي ولي واحتجب
بين طيات الليالي والسنين ؟
كدهشي بينه الريح فلا

تلتقي الا بأمواج البلا
عاصفات المد تنثرو ما علا

بينما الربيع حزين مكتئب
مساعر الأحشاء مكتوم الانسين
خيم الصمت عليه والعدم
وحناه الدهر احناء الهرم
وهو جاث لم يهوم أو ينم
وصروف الدهر تنرو عن كئيب
عله بغفني فتصليبه المنون

مشرح الماضي ورمز البسات
موطن الجرذان مأوى الحشرات
مطلع الافلاك . مهوى النيرات

عجبا بأهبا الدهر عجب
فعلك الطائش بالربيع الامين
زرتة والنفس يوما ثائرة
فاذا الربيع عيون ناظرة
واذا الاشباح تهبو نافر
واذا الهائف مني يقترب
يرسل الحكمة في رفق ولين :

أبها الواقف بالربع انشد
واحس الانفاس اجلالا فقد
غالنا غول الفناء المستبد

فقدونا مثل نار من حطب

تخدع الساري وتخبو بعد حين

فتنظر هل ترى الارسوما ؟

عابسات غلا النفس وجوما

أكبر الدهر عليها أن تدوما

فاذا القائم منها منشعب

واذا الريع يغشيه السكون

هذا هو الطلل البالي ، كما يراه الشاعر ، فيه خمس و مائة ، وفيه

أشباح نافرة ، وصروف الدهر ترقب اغفائه لتصلية النون . . . الخ .

وهو ليس بناء فحسب مهدم الجدران !

على أن الاوصاف والتشبيهات الحسية ، قد تستباح ، وقد ترتقي الى

الدرجة الفنية في بعض الاحيان ، وان يكن النادر من الشعراء من

يستطيع الوصول الى هذه الدرجة ، ولا تكاد نعرف في الشعر العربي أحداً

استطاع ذلك غير ابن الرومي ، الذي كان مصورا أكثر منه شاعراً ، أو

شاعرا مصورا على أصح تعبير .

والتصور الحسي يبلغ درجة الفن العالي حين لا يجمد عند الصور

الحسية ، بل يدع للخيال سبيلا للعمل حول هذه الصور ، يتدرج منه الى

التأثر الوجداني . وهذا الشاعر السوري قواد الخليل ، يصف بلداً
أثرياً بقوله :

بلداً كأن يبدأ دخته فخر من

قلل الجبال بمزق الاوصال

فهنا الصخور على الصخور تحطمت

وهناك منه حقيقة كخيال

أو كالطلام فوق مهترق ساحر

في كل زاوية خيثة خيال

موت تطوف به الحياة وموقف

خسعت لديه طوارق الاهوال

تمضي القرون على القرون كأنها

وقد أخذون اليه بضغ ليال

هذه صورة حسية لا تقف عند الحسن الجامد ، بل تدع للخيال أن

يتصور اليد تدفع هذا البلد من قلل الجبال فيخر بمزق الاوصال ثم يتدرج

من ذلك الى تشبيه هذا البلد بأنه كيهترق الساحر ، في كل زاوية خيثة

حال . . . الخ مما لا أريد أن أشوّهه بمرحه لأن الصورة في درجة

سامية من الفن العالي النادر المثال في الوصف الحسي .

أما الغالب فيمن يعتمدون الى هذه التشبيهات الحسية ، فهو أن يعطوا

عدة أشباه للشيء الواحد لا يزيدنا به تعريفاً ، وليس بينها وبينه من صلة

الا ما تراه العين من اللون والحجم والشكل . أو ما تسمعه الاذن من
النغم والرنين .

فإن المعتز حينما يقول في تشبيه الهلال :

انظر اليه كزورق من فضة

قد أثقلته حمولة من عنبر

لا يزيد على أن يعطينا نسخة من صورة الهلال لا علاقة بينها وبينه في
طبيعته الأصلية . ولا رابط بينها غير ما تراه العين من البياض والسواد .
ومع ذلك فهل أحسن في نقل نسخة من الهلال ؟ يكفي للجواب على
ذلك أن تصور الهلال في خيالك ، ثم تصور بجانبه زورق ابن المعتز .
لتدرك الفارق الكبير ، وتعلم مقدار ما شوه ابن المعتز من منظر
الهلال الجميل !

وكذلك التشبيه المشهور :

فأمطرت لؤلؤاً من ررجس وسقت

ورداً وعضت على العناب بالبرد

إنما يحشر لنا مجموعة لأشياء بيضاء وحمرات . ليس بينها من علاقة
إلا علاقة الألوان . والا فأية علاقة بين الدمع واللؤلؤ . وبين العناب
والافضل . وبين السن والبرد . إلا علاقة العين المجردة . وهي علاقة
سطحية بين المشبه والمشب به . ان أجازتها القواعد وقبلتها فالتشر الذي
يبحث عن العلاقات الخفية العميقة في طبيعة الأشياء لا يقبلها بحال .

ومثل ما تقدم تقريباً ما يقوله شوقي الشاعر عن السفين في
خضم البحر :

تزلزلات في سيرها صاعدات

كالهوادي في زهن الحدا

فأية رابطة هنا إلا رابطة الحركة في النزول والصعود ؟ — وهي مع
ذلك غير دقيقة — وعلاقة قطع المسافات على السفينة وعلى النافذة ؟ ولكن
أية علاقة وثيقة بين طبيعة السفن وطبيعة الهوادي ؟ ماذا يجمعها في عالم
النفس الداخلي الحساس الذي يعنى بالصلوات العميقة لا بالطلاء والقشور ؟
أو قوله عن البدر :

وافى بك الافق السماء فأسفرت

عن قفل ماس في سوار فصار

فبفض النظر عن القفل والسوار « ماساً وذهياً » ! والفرق بين
شكليهما وشكل البدر في السماء ! بفض النظر عن ذلك ، فنحن لاندرى
ماذا نحس من روعة حيال هذا الوصف الابيض والأصفر ؟ !

وقد يكون التشبيه أحوج الى الدقة في بيان زيفه مما سبق لأن
الزيف يتصل بالاحساس النفسي فيه ، كقول شوقي الشاعر يشبه ثوت
عنخ أمون داخل أكفاته :

وكانهن كئام وكأنك الورد الجنين

فقد يلوح للنظر جميلاً ، أن يشبه ثوت عنخ أمون في كفته ، بالوردة
في كفا . ولكن أية علاقة في هذا غير علاقة العين المجردة بين ميت ملفوف

في كفته ، ووردة ملفوفة في كفاها . أنه علاقة بين ميت يستقبل الفناء
ولا تنبض به حياة ، ووردة في كفاها تتفتح للحياة وتنضج بها عروقها ؛
ان الاحساس السليم لا يستسيغ الجمع بين التقيضين في الطبيعة : وان
لاح أنها متشابهان في النظرة البصرية العجلى ، التي لاتشعر ولا تحس .
ولقد تعظم التازلة ، وبشدد خطب الشعر والشعر ، حين يدولوا احد
من هؤلاء المحسوسين على الشعر ، أن يلج في تشبيهاته هذه ، فلا يقع
منها تشبيه ، حتى يأتي بلبسه ، وبغلايس ملايسه ، كما صنع ابن المعتز في
هلاله حين قال :

انظر الى حسن هلال بدا بهتك من نوره الخسديا

كنجمل قد صيغ من فضة

يحصد من زهر الدجا زجسا

فعلاوة على أنه لا تشابه بين الهلال والنجم الا في الشكل الخارجي ،
ولا صلة بينها في الطبيعة ، الا صلة النظرة البصرية . علاوة على ذلك راح
صاحبنا يصنع النجم من الفضة ، ثم هذا النجم لا بد له من شيء يحصده ؟
فماذا يحصد اذن ؟ يحصد النجوم ! ولكن النجوم لا تحصد ! اذن فلتكن
زجسا ، وليكن هذا الترجس زهرا ، وليكن هذا الزهر نابذا في الدجا ،
وتكون هناك استعارة في الدجا هذه . . .

ثم ماذا وراء ذلك كله من العاطفة والاحساس ، أو من إدراك شيء
من خفايا الحياة ، وأسرار الطبيعة ؟ لا شيء الا الهذر والهذيان .

ومثل هذا بالذات ما يقوله شوقي :

والغبار الذي على صفحتها

دوران الرجا على الأجساد (١)

حيثما شاء له احساسه أن يشوه قول المعري في بيته الخالد في
قصيدته الخالدة :

خفيف البوط ما أظن أديم

الأرض الا من هذه الأجساد

وأسخف من هذا وأحط معظم ما يعرف بحسن التعليل ،
امكان التشبيه :

فلما قال المتنبي :

فان تقن الأثام وأنت منهم

فان الملك بعض دم القززال

كان - الى حد ما - مقبولا في قوله ، لأن هناك ارتباطا على أقل
تقدير من ناحية الطبيعة بين الانسان والقززال ، فكلاهما تنبض به الحياة .
وان يكن ارتباطا متصيذا نحاوله :

فلما قال البحري :

دنوت تواضعا وعلوت مجدا

فشأنك انخفاض وارتفاع

(١) تناول الأستاذ العقاد الكلام عن هذا البيت فلا حاجة في شرحه .

كذلك الشمس تبعد أن تسامي -
وبدنو الضوء منها والشعاع

لم يبق من الارتباط الذي في حديث المتنبي شيء ، وكان الموضوع هنا مجرد دليل عقلي منطقي ومسألة شكلية تراها الميول .

ثم نكب الأدب عن ينحط عن هذا المستوى وينخف حتى يقول :
فكرت ساعة وصلها في حجرها

فجرت مدامع مقلتي كالمندم

فجعلت أمسح مقلتي بخدها

اذ عادة الكافور امساك الدم

أرأيتم كيف كان دمه دماً - وهي بالمنة لا تقبلها في هذا المعصرو لكنا
نميل إلى أن نفتقرها لقائلها - فلما رأى هذا الدم بسيل ، ورأى خدها
كافورا ، وعلم من الطب أن الكافور يمسك الدم ، مسح بخدها هذا الدم
المنجس ، حتى يقف جريانه ويحتبس ! وهكذا يكون التلاعب الزري
باسم الشعر المسكين !

أن كل ما مضى من هذه الألاعيب أو السطحيات من تشبيه شاعر
ناثيء لمخلوق صغير بأش بدأ ينعشه أمل جديد :

زهرة قد كاد يعرفوها الذبول

ثم حيثما قباشير الزبيع

فهي ترنو بين صحو وذهول
مثما تحسار في العين الدموع

أو حينما يعرب عن قلبه بعد يأس عقيم :

هذا القواد الذي خلفته تعباً

مضى معنى يرجي منك مقرباً

هذا الرجاء ذهاب اليأس فانطمست

آثاره وتوارى ضوءه وخبا

وبات قلبي كالحراب دارسة

أطلاله يتراءى موحشاً خرباً

يجلج الصمت والذكرى جوانبه

وبطويان به الأجيال والحقب

وأن ذلك من قول الشاعر الناثيء محمد أفتدي الداخلي الهواري ،
في قلبه المحطم اليأس :

واذا قلبي كالرمس به رفقة دون حديث من نديم

واذا قلبي محمى أقفرت وخبا البدر عليها والنجوم

قلب بأش خامد كالقبرة ، فيه ذكريات وخیالات وعواطف ولكنها
لا تتحرك ولا تحس ، ولا تتناجي بحديث ، كالقبرة فيها أحباب وأعداء
ولكن لا نقاش ولا حديث . ثم الروعة الغاشية على القبر الموحش وعلى
قلبه الموحش على السواء . وإذا قلبه كذلك سماه مقبرة . خبا البدر بها ،

وانطامست النجوم فلا لمعة ولا ومضة، الا الظلام الدامس والأسمى الكاسف،
والصمت الرهيب .

أو قول هذا الشاب نفسه ، ساعة خيرة نفسية تنعشيه ونظني عليه
ولا بدري لها سببا ولا يجد فيها خرجا :

مظلم النفس كأنني ملك غضب الله عليه في السماء

وأود أن أقف قليلا أمام هذا التشبيه الرائع العميق ، فالملك البريء
الذي غضب الله عليه ، يستحق العطف المضعف ، ويكون في درجة من
البؤس فوق ما يتصور ، فهو معطود من الرحمة دون أن يعرف له مؤثلا
آخر ، هو طاهر لا يستطيع الانغماس في الرذيلة ، يسري بها عن نفسه ،
فلو أنه كان شيطانا مفضوبا عليه لكان له في « شيطنته ! » عزاء ، وفي
الرذيلة يلهم بها غناء ، عن العالم البريء الذي طرد منه ، والرحمة الواحدة
التي أقصى عنها . وهكذا الشاعر الرقيق الحساس ، يؤله المجتمع فلا هو
يستطيع ايلام غيره كما آله ، ولا هو يصبر على الايلام ، فيبقى هكذا
حائرا مضطربا « مظلم النفس كأنه ملك ، غضب الله عليه في السماء » !

وكذلك قوله — ولا زلت كلما قرأت في شعر هذا الشاب أجدا الماذج
التي لا تنتهي حتى ينتهي ديوانه غير المطبوع — قوله :

ذهبت في الناس أفاقي ممدى

كتلاشي العطر في عصف الهواء

وهكذا معظم آثات الشعراء الحقيقيين ، تلاشي في الناس كتلاشي

العطر في عصف الهواء ، لأنهم لا يعرفون كيف يهرجون ويريفون ، ولا
يسيفون أن يتخذوا هذا الشعر وسائل للشهرة وقضاء المصالح الرخيصة ،
هم يصوفونه ولا يزدقون به ولا يهوشون ، ولا يتملقون به الجماهير بأن
يخرجوا لها ما تفهم من زخارف خادعة ، وبهارج براق . ولذلك تتلاشي
أناتهم دون أن يشعر بها الا القليلون .

حقيقة إن هذه المثل السامية التي تتطلبها في الشعر ، قد قصي
كثيرا من الشعراء ولا سيما كبراءهم في هذا العهد ، أولئك الذين ليس لهم
في هذه الناحية الا القليل .

وقد تكون هذه مغالاة فيما تتطلبه ، ولكننا لا نريد التزول عن هذه
المغالاة ، لأنها وسيلتنا الى المثل الأعلى . وما دمتنا نجد هذا الشعر الذي
نريده من بعض الشعراء ، ومن شبابنا الثاني في هذا العهد ، فسيبلنا إذن
أن نجعل هذا النوع هو المثل الذي نسعى اليه ، فمن قاله فهو الشاعر الحق ،
ومن قصر عنه فليس ذلك ذنبنا حتى نشفق عليه ، وهو لن يعدم من غيرنا
القائمين ، من يطلق عليه لقب الشاعر . وربما الشاعر الكبير ! !

الخيال في الشعر

مهمة الخيال :

وعجيب أمر هذا الشاعر ! فيينا جماعة من الناس يرون من الغالات ،
أن نشرطة فيه ما اشترطنا ، ويحسبون أن الشاعر لا يمتاز عن الجماهير
بشيء في إحساسه ، وإنما يمتاز عنهم فقط ، بأنه يستطيع التعبير في أسلوب
خلاف . ولذلك يقنعون منه بالتصور السطحي ما دام في أسلوبه بريق ،
وفي تعابيره زخارف وطلاء .

بينما جماعة يرون ذلك ، إذ يأخرون يفهمون في الشعر أنه الخيال
الطلق ، الذي لا بد - في اعتقادهم - أن يناقض الحقيقة ، وهو كلما اشتط
بعدا عنها ، دل على عبقرية الشاعر في نظرهم . ومن هنا نشأت الجملة المحفوظة
« أعذب الشعر أكذبه » لأن الشاعر في نظرهم غير مسؤول ، وذلك
أخط ما يمكن أن يصور به الشعراء !

وقبل أن نصصح هذه الفكرة ، نود أن نبحث في طبيعة الخيال
وصلته بالحقيقة المجردة ، أو الحقيقة النسبية ، إذا كانت الحقائق المجردة
غير موجودة .

نحسب أن الخيال ، هو صلة ما بين الإنسان القاصر والحقيقة المحجبة ،
التي تدق على الأفهام ، فينبعث الخيال ليقرب هذه الحقيقة .

وهو في ناحية أخرى صلة ما بين الإنسان وآماله البعيدة ، التي لا يحققها
له الواقع فينبعث إليها بشباك من خياله ، يدنّيها منه ، ويقرّبها إليها .

ليست مهمة الخيال إذن أن يشتغل ويبعد عن الحقيقة حين يجدها .
وهو إذ يصنع ذلك يفقد طبيعته ، التي هي ربط الصلة بين الفكر
والحقيقة التي لم يبتد إليها بعد ، أو بين الإنسان وآماله الترامية . حيث
تنتهي مهمة الخيال ويكون قد أدى واجبه المطلوب منه .

أما الذي يجد الحقيقة أمامه ، ثم يتجاهلها ، ويمنح الخيال يشتغل به
عنها ، فهو الزائف الاحساس ، الموه الطليعة ، وإن يكون هذا هو الشاعر .
الشاعر الذي كل ميزته أنه يحس بالحياة احساساً صادقاً ، ويعبر عما
يحسه بإخلاص .

الشعر والحقيقة :

ويقال هنا : إن الشعر الذي يعبر عن الحقيقة ، قد يفقد شاعريته
وموسيقاه ، وبصحب فلسفة مجردة جافة ، لا دخل فيها للشعور إلا بمقدار .
ونقول : بمقدار ، لأن الفلسفة نفسها ليست بمنزلة عن الشعور . والشعور
ليس بمنزلة عن الفلسفة . وإنما هما يتداخلان ويتفاعلان بمقادير وكيفيات
غير مضبوطة ولا دقيقة ، ككل ما يتصل بالنفس الإنسانية .

وجوابنا أن الشعر في الواقع يعبر عن الحقيقة ، كما أشرنا أول الحديث
ولكن الحقائق التي يعبر عنها الشعر ، من نوع آخر غير الحقائق التي تعنى
بها الفلسفة ، هي حقائق الاحساس الخفي ، التي قد يختلف في تقديرها
كل فرد عن الآخر .

وإذا قلنا يختلف في تقديرها كل فرد عن الآخر ، فلما نعني ذلك
إلى حد محدود ، لأن هناك مقداراً أولياً من الاحساس مشتركاً في النفس
الإنسانية عامة ، ما لم تقسد فطرتها ، وهذا القدر الأولي تشترك فيه النفوس
المختلفة ، ثم تأخذ بيد في الافتراق ، حسب الامزجة أولاً ، ثم حسب
الافراد ، فيمتاز احساس بالذقة ، ويمتاز آخر بالعمق ، وثالث بسرعة
الانتقال ورابع بإدراك الأوجه المتعددة للسألة الواحدة وهكذا . . .

والشاعر أصدف احساساً من ذلك كله ، لأنه أكثر إدراكاً أولاً أكثر
شعوراً ، بالحقيقة الطبيعية ، الخام .

الحقيقة التي تنبض بها الحياة نفسها ، بل الحقيقة التي تكون الحياة
ذاتها إحدى أفرادها ! وإن الرومي مثلاً حيناً يقول عن الأرض في الربيع :

تبرجت بعد حياء وخفـر

تبرج الأنثى تصدت للذكر

إنما يدرك عمق طبيعة الحياة ، حيناً يدرك أن الأرض تبرج للربيع
تبرج الأنثى تصدت للذكر . فليست الحياة في صميمها إلا
تزاوجاً بين الجنسين ، وإلا إغراء من كل منها الآخر بكل الوسائل ،
حتى يكون هذا التزاوج . وفي هذا القدر تشترك الأرض الصامتة ،

والنبات الساكن ، والحيوان الأعجم ، والإنسان المتوحش ، والإنسان
الراقي على السواء . ولا سيما في فصل الربيع .

وكذلك حين يقول شاعر ناشئ في قصيدة بعنوان :

الصبح يتنفس

نسبت زفها الفجر الوليد
بعد ما جئت بها صدر الحياة
ناعمت مثل أنفاس الورود
بلل الطل شذاها بنداه

كانت الدنيا يغشيها السكون
وظلام الليل والنوم العميق
طفلة قد ضمها الليل الحنون
ضمة الرحمة كالأم الشفوق

وتراى الصبح في سميت بديع
فاذا الطفلة تصحو من سبات

ترسل الأنفاس في رفق وديع
وإذا الأنفاس تلك النسبات

وإذا الزهر يحيى في ابتسام
ذلك الصبح ويرنو في هدوء

كابتسام الطفل في عهد العظام
حينما يحلم بالثدي المليء !

وإذا الطير وقد ران النعاس
فوق عينيه تنزى فصحا
يرمق النور بهمس واختلاس
ويحيه طروباً مرحاً

وايثاق الفجر من سندف الظلام
مثلاً يسم للعاني الأمل
يلثم الكون يشر وابتسام
ويحيه برفق في القبل

وإذا الأنفس في هذا الحنان
وادعات بين أحضان الطبيعة

ساعات راضيات في أمان
ترسل الطرف برنات وديعة

حالات في كراها يقطات
سباحات في الثعالب الوضاء
تشهد الآمال عذب الأغنيات
بين سمعها ويحدوها الرجاء

فترة في مطلع الفجر نمر
هي حلم مثل أيام الطفولة
فاذا مرت فجوة مكفر
هو في الطفل شباب وكهولة

ليني عشت بأحضان الصباح
أو قضيت العمر أستمع طفلا
لا . ولا هذا من الدهر بناح
لا . ولا قد عدت أستمع . كلا !

حينما يقول : إن الحياة طفلة ، كان يضمها الليل في كنفه ، ثم لما
أبصرت الصباح استيقظت وتنفست ، فكانت أنفاسها هي نسبات الفجر
الرفيقة ... هو في الحقيقة لا يتخيل ، ولكنه يتعمق في طبيعة الحياة أكثر
من الفرد العادي الذي لا يرى إلا ظواهرها ، فاذا الحياة طفلة لأنها
لا تزال غررة صغيرة ، وإذا الليل يضم هذه الطفلة بين عطفه كالأم
الحانية ، وإذا الصبح فتنة تلك الطفلة التي تأخذها المظاهر ، وتجنبها
الأضواء . ونظرة الى الدنيا في الصبح الباكر لابد أن تصورها طفلة وديعة ؟

وكذلك حين يشبه الزهر في تفتحه لنسبات الفجر ، بالطفل المتبسم
لحلمه بالثدي ، بعد فطامه ... لم يهده الخيال الى ذلك ، ولكن هداه
إحساسه الدقيق الذي يلح العلاقة بين الزهر والطفولة ، وبين ابتهاج
الزهرة بنسبات تحيها وتغنيها ، وابتهاج الطفل بحلمه البريء ، بشديه الذي
يحبه ويفديه !

وكذلك نشيه ابتهاج الفجر من أصداف الظلام ، بانبثاق الأمل
للعاني المكدود ... فاسترواح النفس للفجر كاسترواحها للأمل وأدق من
ذلك أن الفجر هو أمل الحياة ، الذي يفتح عنها ظلمة الليل البهيم .

فاذا رأى الناس بعد ذلك خيالا في الشعر الحقيقي بهذا الاسم ، ورأوه
بيدا عن الحقيقة التي يدركونها هم ، فذلك لأن الشاعر أدرك من الاعماق
ما لم تدركه الجماهير ، ودق في إحساسه حتى تراهي ذلك خيالا ، لمن
لا يحس بقرارات الطبيعة ، والصلات الخفية بين أبنائها جميعا .

احساس الشاعر بالكون .

ولقد تكون نظرية وحدة الكون جديدة في عالم النظريات العلمية ، وبعض المذاهب الصوفية . ولكنها كانت منذ عهد بعيد ثابتة في طبائع الانسان العميقة ، وهي أثبت من ذلك في طبيعة الشاعر وفي نظريته للحياة ، وهي كذلك في نظر الفنانين جميعاً . لأنهم إذ يفسرون ينشأ وبين المثل الاعلى ، يجب أن يحسوا قبل ذلك بالعلاقة التي تربطنا بهذا المثل ، والطريق التي توصلنا اليه ، ومقدار الخطوات التي قطعها الكون كله في هذه الطريق . وهم في أثناء ذلك سيحسون بتساند الاحياء جميعاً ، وتكاتف المخلوقات كلها . وهي تسير ميممة للامام .

الابل انهم لم يكتفوا بالاحياء . فراحوا يشركون الكائنات جميعها - حية وميتة - في هذا التساند والتكاتف . ومنشأ ذلك كله إحساسهم بوحدة الكون في جهاده . فنظروا اليه نظرة المحيط بالاطراف ، التعمق في القرارات .

ومثل هذا الاحساس يبدو فيما تقدم من حديث ابن الرومي عن الارض والرياح . وفي قصيدة الشاعر الناشء « تنفس الصبح » كما يتجلى في فلسفة المري جميعها ، وان اتجه الى طريق الشاؤم . فهو منشائم من الحياة جميعها ، وكل شيء فيها متصل بكل شيء في نظره فهي جميعها حساسة متصلة .

ومن ذلك قوله :

تسريح كفك برغوثاً خلفت به

أبر من درهم تعطيه محتاجاً

كلهما يتوقى والحياة له

حياة وروم العيش محتاجاً

ويتضح أكثر في قوله :

خفف الوطاء ما أظن أديم الأرض

إلا من هذه الاجساد

وفي قول جبران خليل جبران موازناً بين عالم الطبيعة وعالم الانسان:

واذا ما الوز ألقى زهره فوق الشيم

لم يقل هذا حقير وأنا السولى العظيم

وفي شعر الشباب الحاضر ما قد تفلغل في الاحساس بالصلة بين الانسان والطبيعة الى حد كبير . واني لميال لان أستشهد بالشباب الصغير،

الشباب الناشء المنصور . وفيما مضى ذكرت شيئاً من ذلك لعلي أفندي

عبد العظيم في قصيدة « الليل » . وهأنذا أذكر مثالا للاستاذ محمود

عبد الرحمن قراعة « في قصيدة متعمقة في الحيرة والجولان في هذا العالم:

اسرحني أيتها البهم على

بسط منسوجة من سندس

اسرحني من مطلع الشمس الى

أن بيد الضوء جيش الفليس

✱ ✱ ✱

لاعلى قلبك من ذل الأسار
طائف ينعمه أن يستقرا

لو تجلى لك ما خلف النار
لذت باليد من الانسان ذعرا

هو ذا القصاب يختار الشفار
ثم لا يلبث أن يهديك شفرا !

يلغ الاوداج يفري الفصلا
فاذا العمر كرجع النفس

واذا ما خرج الروح فلا
من فداء بالمزير الأنفس

★ ★ ★

اقبلي دنياك ما طابت مراحا
ودعي الخفي للعالم وحده

ليس أمر الغيب للناس مباحا
لا . ولن يستطيع عقل أن يحده

اتنا لا ندرك الحق الصراحا
أو أعددا لدفع الموت عنده ؟

أم طيب قد يرد الأجيلا ؟
ليتسه يستطيع به الأنفس !

كل ما جاد به أن عللا
مظلم النفس بنور القبس !

★ ★ ★

من لقلب فرغت حاجاته
فهو خلوا من أماني الشباب !

حطمنه قفت آياته
صدمة الصد واسدال الحجاب

ما تبدى أبدا آهاته
أفحييه سطور من كتاب ؟

لا أبالي إن فقدت الأمل
أي رسم خط لي في الأرمس

أوحيدا ضمت في قفر الفلا
أو عززاً مت بين الترجس ؟

★ ★ ★

ليس يختار أكيل أكله
وأرى الساعات تمضي لا تعود

أزري هذي الحياة الزائلة
أطول الآجال فيها ظل عود ؟

كل ما فيها أمان باطلة
يستوي السيد فيها والسود

كل ما شيد بها مهما علا
لا يناوي حيرة في خندس !

هل تراه حل أمرا معضلا ؟
لا . ولا رد عناد الشكس

★ ★ ★

لم كان الكون ما بين سماء
فجبال فتجاد فيجار !

لم حل النر أطباق القضاء
لم كان القطر من بين البضار

لك ربي دنت فاحكم ما تشاء
غير أن العقل في الحكم يحار

برد الشك ومهما نهلا
ما روى مظماء ما يحسى

يهبط القاع ويعلو الجبال
هائما من عريه لم يكس

في وسط هذه الحيرة الجارفة ، من هذا الكون وما فيه من طلاسم
ومعميات ، يلمس الانسان إحساسا بوحدة هذا الكون وتفاعل
جزئياته . وإن كان الشاعر يريد أن يعلم سر اجتماع هذه الاجزاء وسر
تفاعلها ، ومن أين جاءت ؟ وأين تنتهي ؟ وهو حائر .

يهبط القاع ويعلو الجبال
هائما من عريه لم يكس
وهو ينبط البهم ، لأنها لا تحار هذه الحيرة ، ولا تفكر في
صلاحها بالآخرين !

اقبل دنياك ما طابت مراحا
ودعي المخفي للعالم وحده
وهي نظرة شاعر شديد الحساسية ، ينجح للفلسفة ، ولكنها فلسفة
الحياة النابضة . فلسفة الشعور المتحفز التمتع ، وذلك أدخل في لب
الشعر الصحيح .

الخيال الشعري والمبالغة :

ويحسب البعض أن الشاعر حينما يعبر عن إحساسه ، وحينما يصف
عواطفه وأشجانه ، في صورة رائعة . يحسبون أنه يدرك الحقائق كما
تدركها الجماهير ، ويحس كما تحس الجماهير ، ولكنه يزيغ فقط في
التعبير ، فيفخم ويغظم .

ولكن الواقع أنه لا يفعل ذلك الا الشاعر الزائف الاحساس .

السطحي الشعور ، أما الشاعر الحق ، فهو يدرك الأشياء على هذا النحو من الدقة والعمق والفخامة ، فيعبر عنها كما يراها . وهذا ما قصدنا إليه من أن الشاعر يعبر عن الحقيقة . لأنه يتحدث كما يرى ، ويعبر عما يحس بلا تزيف ، إذا كان شاعراً جديراً بهذا اللقب النبيل .

إن الشاعر يدرك من العلاقات بين التصورات والأحاسيس ما لا يدركه الآخرون ، فتراهم ينتقل من هذه الخططرة إلى تلك ، لأنه يلمح العلاقة بينها في أعماق من الطبقة الظاهرية . بينما الآخرون لا يلحون هذه العلاقة ، فيحسبون أن في تعبيره مفارقة ، أو كذباً وما هو بمفارق ولا كاذب ، ولكنه إدراك أعماق وأدق وأسرع مما يدركون .

على أن الخيال كما قلنا له وجهة أخرى ، هي التقرب بين الإنسان وآماله تارة ، وبينه وبين المثل الأعلى - إن كان من طلاب هذا المثل - تارة ، فالخيال بهذا الاعتبار متسع المجال للشاعر ، الذي لا تقتأ آماله في إققاد ، ولا تقتأ آلامه أيضاً في اشتداد ، وهو دائم على طلب المثل العليا ، سواء أحس بذلك أم لم يحس ، فهو يؤدي مهمته بلا تفكير .

الناس تقنع بالحياة وترضى

منها محاسن شوئت بشباب

والشاعرون تؤزهم أدولها

يغونها لم تشرج بشوائب !

حس أرق من الأثير ، يهيجه

ما قد تمر عليه من اللاعب !

وهي الحياة : لمن يرق شعوره
ألم . وإن يكشف فليدع راغب

وليس معنى الخيال هنا ، أن يبالغ الشاعر وهو مدرك لمبالمته فإن ذلك شأن المهرجين . ولكنه يبالغ بطبيعته ، ودون شعور منه بمبالمته ، لأنه أشد حساسية وأدق شعوراً ، فهو يثلف لما يريد ، وهو يألم للاصطدام - وما أكثر الآلام ، إذا كثرت الآمال - وأنه لصادق في ثلفه ، كما هو صادق في تألمه على السواء .

تناسق الخيال :

وغة ناحية أخرى خاطئة في فهم طبيعة الخيال ، ومهمته في الشعر نشأ الخطأ فيها عن الخطأ الأول ذلك أن الذين يفهمون أن الخيال الطبيعي كل ما بعد عن الحقيقة - ولو طوعاً واختياراً - لا يشترطون طبيعة الحال أن يكون في هذا الخيال حياة نابضة ، متناسقة الأجزاء . وبعبارة أخرى لا يشترطون التلازم والتوازن في هذا الخيال ، ولا يعتبرون نقصاً فيه أن يبدو أحد الأجزاء في القصيدة مناقضاً للآخر لأن الاثنين يتفقان في أنها غير حقيقة ، وهذا هو كل شرط الخيال في نظرهم !

أما نحن فلا نرى في الخيال سمواً ، إلا إذا كان كل جزء منه مكملاً للآخر ، بحيث تكون أوعية القصيدة جميعها متناسقة ، والظل الذي تطعمه الصورة التخيلية ظلاً كاملاً ، مثلاًم الأجزاء ، لا تتواءم فيه ولا تمارض . وبعبارة أخرى أن تكون وحدة الشعر هي القصيدة لا البيت - أو

الشطرة - كما غال بعض المتقدمين، ومن لا يزالون يعيشون بقول المتقدمين

والذي تتطلبه هو الذي يتفق وطبيعة الجمال. الجمال لا يعترف بالأجزاء، بل ولا أتصور وجوده في الأجزاء كل على حدة، فالجمال تناسق الأعضاء، أو هو قوة تنتج عن هذا التناسق. ولن يكون تناسق بين العضو ونفسه. ولهذا كانت التشبيهات التي تقتصر على العين وحدها ثم الحدود والخصور والاردا ف... الخ. تشبيهات سقيمة تجزي هذه المجموعة الحية، وتدعها أشلاء ممزقة كما ذكرنا فيما مضى، فضلاً على ما قد يكون هناك من تعارض بعض الأجزاء مع البعض الآخر.

وأمثال التجزئة في الوصف، ولا سيما وصف الحدود والعيون والنحور، كثيرة مشهورة قلا الشعر العربي، وتطغى على شعر العصر الحاضر إلا القليل.

وأما تعارض الأخيلة في القصيدة الواحدة فمثاله قول شوقي الشاعر عن أبي الهول:

تهزأت دهرًا بديك الصبا ح فقر عينيك فيما تقر

ودعنا من الصباح وديك !، وكون هذا الديك لابد أن يقر كما تفعل الديكة ! وكون الصباح وحده أثر في أبي الهول دون الليل مثلاً !

دعنا من هذا وما فيه من تكلف وقصر نظر، إلى أن شوقي يقول لأبي الهول نفسه هذا الأعمى الذي تقر ديك الصباح عينيه :

تطل على عالم يستهل وتوفي على عالم يحضر
فمين إلى من بدا للوجود وأخرى مشيمة من غير

فهنا عاد أبو الهول مبصراً، يطل على عالين، وعادت عيناه سليمتين حادثي النظر.

وقد يكون كل تشبيه بمفرده حسناً في ذاته، ولكن بإجتماعها بتعارضان، ويدلان على أن هذا الشاعر لم يكن صادقاً فيما يحس، لأن الصادق لا يتناقض أول كلامه بآخره !

سيقولون شاعر شبه أبا الهول تشبيهاً، ثم شبهه تشبيهاً آخر مستقلاً. ولكننا نحن لا نقبل منه هذا التعارض في الأخيلة، بين تشبيه وتشبيه، في قصيدة واحدة على الأقل. والشعر لا يعرف هذا الاستقلال بين التشبيهات ولا يريد ضرائر المعاني، تتخاصم وتتشاحن. بل كل المعاني لديه أخوات مؤلفات. لا بل أدق من ذلك: كل المعاني في القصيدة الواحدة أجزاء يكمل بعضها بعضاً. ويتصل به اتصال العضو بأخيه، لا غنى عنه، ولا فكاك منه !

ومثال من التعارض تأخذه من قول عبد العزيز عتيق الذي أعجبنا بقصيدته « الطلل البالي » منذ لحظات. إذ يقول في قصيدة « أنا والحياة » في ديوانه الطبعوع :

تخاف على الدنيا تمرد شاعر !

وهل ظالم الأيام من عائش زاوياً ؟

ويقول :

بعيداً وحيداً غير نفسي وخطري

سميداً بأن أحيا مدى العمر خافياً

فيحتل بذلك الأزواء والبعد عن الحياة وأهلها بحيث لا يراه أو

يشعر به كائن من كان . ولكنه لا يلبث أن يقول بعد ذلك :

سأبقى على الدنيا خيلاً مشاكساً

أبدد أحلاماً وأقصي آماني

فيشعرنا أنه سيبدأ كس هذه الحياة ، ويدد أحلامها ، ويقصي

أمانها . فتتجلى أمامنا صورتان متعارضتان : صورة « الوداع » وصورة

« الشاكس » . صورة « المخزي » وصورة « المناضل » . والذي يعيش

زوايا خافياً ، لا يحس به أحد ، لا يمكن أن يكون مشاكساً يبدد

الأحلام ويقصي الأماني . وأن لفظة « الشاكس » في ذاتها تحدث ضجة

وقسوة لا تتفق وهذا الأزواء .

نعم قد يكون عذره في ذلك أن القصيدة اضطراب نفسي حائق وهذا

الاضطراب يوحى مرة بالقوة وأخرى بالضعف ، مرة بالمسألة وأخرى

بالمشاكسة . وهو عذر طبيعي يحسه الشعراء . وغير الشعراء ولكننا مع

هذا لا نميل إلى التسامح معه في هذا المضارب .

وأقل من هذا تعارضاً . قوله في قصيدة لم نكتب بعد : بعنوان

« مدينة الأموات » :

خيم الصمت فوقها والظلام

وغزا النوم ساكنها فناموا

فقد أحسست عندما اسمعني هذا المطلع أن كلمة « غزا » تحدث ضجة

وجلية ، لا تليق بهذا الصمت الخيم ، وذلك النوم الذي لا حراك فيه ،

وهي تحد من جوانب هذا الجلال النائم ، وتوقظه من سباته الرهيب .

حيناً تلقى في الذهن صورة للغزو ، مصحوبة بالصخب والضجيج !

وهو يصر على الإعجاب « بغزا » هذه . كما أعجب « بشاكس »

وأكبر الظن أن الشباب المتحفز ، يدفعه للإعجاب بها . الشباب المغرم

بالضجة والقعقة . وإلا فأننا لا أفهم كيف يصر على ذلك من يقول مثل

قصيدة « الطلل البالي » أو « حلم الورد » وأمثالهما في ديوانه .

ومثال هذا أيضاً . قول « علي عبد العظيم » الذي أعجبنا بقصيدته

عن الليل قبل ذلك . فهو يقول عن السماء في نفس هذه القصيدة :

كأنها فوق هذا الكون مقبرة

أرخت عليه ظلام الليل أكفانا

كأنها رأس فنان وأتجمها

بنات أفكاره تبدي له شانا

فإن تشبيه السماء بالمقبرة . والظلام بالأكفان المسئلة على الكون .

يلقي في ذهن السامع صورة للفناء الشامل والموت المحيط . فلا يلبث

بجانبها أن تكون السماء رأس فنان ونجومها بنات أفكاره . لأن رأس

الفنان ، أول مظهر على الحياة النابضة الحساسة . فهنا خيالان متعارضان

لا نتغفرهما لشاعر ملهم كعلي عبد العظيم .

وقد جاء هذا المعنى للامتداد العقاد في وصف السماء :

كأنها الهاوية القلوبة كأنها الجمجمة النخوبة

فسلم من تعارض الخيال . لأن الجمجمة النخوبة لا تعارض مع
الهاوية القلوبة . تعارض رأس الفنان الحي النابض !

وقد أعجبنا من قبل بقول الداخلي أن قلبه كالقبرة ، وفي الوقت
نفسه كالسما المقفرة : لأن القلب اليأس المظلم الجوانب يشبه القبرة ،
كما يشبه السماء المقفرة ، ولا تعارض في التشبيه .

وقد يقال : أننا نحرم تشبيه شيء بأشياء من نواح مختلفة . ونحن لم
نزد ذلك ، ولم نحرم تشبيه الشيء بكثير من التشبيهات . ولكننا فقط
نشترط تلامها وتعارفها .

وها هو ذا شاعر فاشي . يتحدث عن نعمات و العود ، فيقول :

كأن الحانك اللائي ترددها

أطياف ذكرى تولدت ترجع الآن

كأنها خطرات في مخيلة

نحسها ثم لا نستطع تبيانها

كأنها همس جن أو ملائكة

أسر ، عن عالم الانسان كأننا

فإننا تشبيهات ثلاثة ، ولكنها متآخية ، لا يرحم واحد منها الآخر
ولا يتنافر معه . . . فالأطياف ، والخطرات ، والهمس . تشترك جميعها
في الرقة والخفوت والحنان .

إلى هذا الحد نحن نذهب إلى وجوب التماسك والاتساق ولا
تسامح فيه ، ولا يمننا الإعجاب بشعرائنا الناشئين ، أن نحاسبهم على
هذه السقطات البسيطة مهما كان لهم عذر فيها ، لأننا زبد نوعا جديدا
من الشعر والشعراء ، يمثلون فطرة الشاعر الصحيحة ، فطرة التماسك
والجمال . وزيد أن يكون هؤلاء الناشئون هم غاذج الكمال .

ذوق الشاعر

ومسألة تناسق الخيال ، وتلاؤم أجزائه . مسألة ترجع إلى الذوق كما يرجع معنى التناسق في كل شيء إلى هذا الذوق الحاكم ، الذي لا تعلل أحكامه تعليلاً منطقياً ، لأنه غير محدود ، ولا يقبل بطبيعته التحديد .

والشاعر الحقيقي - وهو الدقيق الاحساس ، الملهم الفطرة - لا بد له من ذوق أرق من الأذواق ، ذوق يستطيع الملازمة في الاحساس والتناسق في التعبير . لا بسل ان الاحساس السامي الدقيق لمبعث هذا الذوق . أو هما على الأقل أمران متلازمان ، ومظهران من مظاهر الإلهام الصادق والوحي العميق .

أثر البيئة في الذوق العميق والشعور والخيال :

على أن تنافر الاخيلة والصور ، قد يكون راجعاً إلى البيئة الطبيعية ، وإلى درجة الثقافة التي تهذب الأذهان والاحساسات ، وتجمع بين الفكر الشاردة ورباط من المعرفة الجامعة . وإلى الحالة الاجتماعية ، وما فيها من ارتباط بين الأفراد ، أو تنافر وشروذ .

كل هذه عوامل تؤثر في نفس الشاعر وذوقه ، وبالأخص في ناحية

اكتلاف المعاني ، وتناسق الأخيلة ، وهذه نظرية أكثر ما تكون وضوحاً في الشعر الجاهلي . وهي في البوادي أظهر منها في الحواضر ، وقد كانت عوامل التنافر على أشدها ، وكانت كلها جميعاً .

كانت بيئة طبيعية مجذبة ، متنافرة للقاطع ، لا تحوي من ألوان الحياة الا قليلاً ، ولا يكاد يربط بين أفرادها رابط . . . هنا تل وهناك جبل . هنا غور وهناك رابية . وهي جميعها أو معظمها جرداء لا تصل بينها صلة من الحياة . . . مناظر تشتت الذهن ، وتوزع الخيال .

وكانت الثقافة العامة ، التي تصقل الأذهان ، وترتب الخواطر تكاد تكون مفقودة فقداناً تاماً ، فالمعلومات في هذه الأذهان - ان تكن قسمة معلومات - لا تلتقي واحدة منها بالأخرى ، ولا رابطة بينها جميعاً ، وانما هي شوارد فافرة . . . ولهذا أيضاً أثره في تنظيم أفكار الشاعر ، وفي نظراته للحياة واحساسه بها .

وكانت القبائل ، بل الأفراد ، في خصام دائم ، يشمر بالتفكك والانحلال ، ولا يوحى الى الذهن ، الا بأن العالم أشلاء ممزقة ، كل واحد منها لا يتعاون مع الآخر ، ولا يمت اليه بسبب .

وفوق هذا جميعه ، فقد كانت المناظر الخاصة التي يقع عليها نظر الشاعر في كل مكان : في فسطاطه وفي ملبسه . وفي طريقه . كلها توحى اليه بخيال متنافر لا ارتباط بين أجزائه .

بعد هذا كله لا نرى عجباً أن يكون الشعر في هذه الفترة ، مشرد

الخواطر . مشتت الأخيلة تكاد كل شطرة - لا كل بيت - تكون وحدة قائمة بذاتها . وهي أشبه شيء بخواطر الاطفال ، يسترعي انتباههم كل حادث ، فيعبرون عنه للحظة ، تصير أمثلاً سريعاً ، لا يكاد يتم حتى تنتقل خواطرهم الى جديد . قد يكون أبعد ما يكون عن الخطاير الأول .

وبالبحث في الشعر الجاهلي . . . أو شعر الصحراء ، عامة جاهلياً وغير جاهلي ، لا يكاد يعثر على صورة كاملة لخاطرة من الخواطر . الا أن يكون ذلك عرضاً واتفاقاً قليل النوع وفي حالة نفسية عارمة ، لا ندع للخواطر أن يذهب الى سواها . كذلك الشيخ الجاهلي من بني ضبة ، إذ كان له سبعة أولاد كما يقول الأمازي - فخرجوا يصطادون فأووا الى غار فهوت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعاً فقال :

أسبعة أطواد أسبعة أنحر
أسبعة آساد أسبعة أنجم

رزتهمو في ساعة جرعتهمو
كؤوس النايانحت صخر مرضم

فمن تلك أيام الزمان حميدة
لديه . فاني قد ترقن أعظمي

بلفن نيسي وارتنفن بلاني
وصليتني جر الامي المتضرم

أحين رماني بالثمانين منكب
من الدهر منح في فؤادي بأسمهم ؟

رزئت بأعضائي الذين بأيديهم
أنوء وأحمى حوزتي وأحمي ؟

فإن لم تذب نفسي عليهم صابة
فسوف أشوب دمها بعد بالدم
وهذه القطعة مع روعة ظرفها ورهبتها ، حتى خرجت قطعت كاملة
دائمة الجوانب ، مع ذلك لم تسلم من التناثر : سبعة أطواد . وسبعة أنجم .
وسبعة آساد . وسبعة أنجم . لا جامع بين هذه التشبيهات إلا ما يريد الوالد
المفجوع من مدح بنيه ، وليس بينها جامع نفسي مشترك سوى هذا .

جمال السذاجة والصدق :

وليس لنا أن نشهم إحساس الشعراء في هذه الفترة ، فقد كان إحساساً ساذجاً
وخالصاً . ولكن في الظروف جميعها ، تكافت على الشاعر ، فتركت أثرها ظاهراً .
وهذه الظروف هي التي يزيد إعجابنا بالشاعر « الصحراوي » - لا الشعر
« الصحراوي » (١) - لأنه استطاع رغم تلك الظروف السيئة التي
أحاطت به ، أن يخرج في بعض الأحيان صوراً حية كاملة الأجزاء ،
متناسقة الأعضاء بقدر الامكان .

وإن فات الشعر في هذا الوقت جمال التناسق والعمق والالتزام ،
فقد كان له جمال آخر هو جمال السذاجة البريئة النقية :

(١) تقصد بالشعر الصحراوي ما قيل في البداية ولو لم يكن جاهلياً .

حللنا آمين بخير عيش
ولم نشر بها واتس يكيد
ولم نشر بجد البين حتى
أجد البين سيار عتود
وحتى قيل : قوض آل بشر
وجاءهم بينهم البريد
قلما ودعونا واستقلت
هم قلص هوانهم قود
كمت عوائل ما في قواذي
وقلت لهم : لينهم بريد !
فجالت عبرة أشفت منها
تسيل كأن وابها فريد
فقالوا : قد جرعت ! فقلت : كلا
وهل يكي من الطرب الجليد ؟ !
ولكي أصاب سواد عيني
عويد قذى له طرف حديد !
فقالوا ما لهمهم سواء
أكلنا مقلتيك أصاب عود ؟
لقبل دموع عينك خبرتنا
بما جمعت زفرك الصعود !

فقم وانظر يزدك مطال شوق

هناك منظر لهمو بعيد

ألا انه يستحق العطف — والله — على هذه السذاجة الصادقة
أبها الاخوان !

وكذلك الرجل الاعرابي الذي ابتاع خرا بصوف خزة ، فغضبت
امرأته لذلك الاسراف فقال :

غضبت علي لأن شربت بصوف

ولئن غضبت لأشرب بخروف !

ولئن غضبت لأشرب بنعجة

دهساء مائة الأناة سحوف !

ولئن غضبت لأشرب بفاقة

كوماء ثاوية العظام صفوف !

ولئن غضبت لأشرب بسابح

نهد أشم النكبين منيف !

ولئن غضبت لأشرب بواحد

ولاجعلن الصبر منه حليفي

تلك سذاجة واضحة ، في عناد كبتاد الاطفال . واتي لمعجب بهذه
الصورة على بساطتها المتناهية !

ولكن اذا كان اعجابنا بالاطفال واحساننا بحمال تعبيرهم ، لا يجعلنا

نحاول أن نكون أطفالا ! ، ولا أن نعب عن خواطرنا كما يعبون . كذلك
فليكن نظرنا الى الشعر الصحراوي ، ، فليس هو المثل الأعلى الذي
نقتدي نحن به وإن يكن هو في ذاته مثلا أعلى للعصر الذي وجد فيه .

بلاد العرب والشعر :

وبمناسبة الحديث عن الشعر الصحراوي ، ، نريد أن نعرض لفكرة
وأفكارا كثيرا في كتب الأدب الدراسية ، وهي تريد أن تفهمنا أن البيئة
العربية أصلح البيئات للشعر . فالجبال ، والصحراء ، والسماء الصافية كلها
من البيئات المساعدة .

هذه الفكرة تأخذ بجانب واحد من جوانب البحث ، وتدع بقية
الجوانب ، والواقع أن البيئة العربية هذه توحى بالشعر . ولكنه الشعر
الذي يضم إلى تناثر الأخيلة — كما قدمنا — كثيرا من السطحية التي لا تمتد
إلى ما وراء الظواهر .

فهناك طبيعة طفلة ، لا تركيب فيها ولا تنوع . وهي لا تحتوي إلا لونا
واحداً من ألوان الحياة . فهي إذن مستخلق إحساساً ذا لون واحد .
لا يحيط إلا بجانب من جوانب الشعور .

ثم إن السماء الصافية هذه ، لا تدع للخيال أن يتعمق . فكل شيء
واضح لا يدعو إلى التعمق والأناة . وليس هناك حفي يجد وراء الخيال
وإن دعا هذا الوضوح إلى إحساس الاحساس وتهيج ، وسرعة تفله .
ولكن فرق بين العمق والالتهاب . وأن هي البروق والرعود وغضبات

الطبيعة التي تفتح جوانب الاحساس ، وتحيط الشاعر بجو من الغموض
الرهيب ، يسبح فيه خياله ، ويتعمق إحساسه ، ويشعر بالكون من حوله
شعور التفاعل والتجاذب ، ويحس كم هو فيه الحياة وكم تتمثل فيه
الحياة ؟

ومها يكن البيئة العربية من فضل ، فهي لا يمكن أن توازن بالبيئات
المزدوجة المركبة ، التي تجمع كثيراً من ألوان الحياة المختلفة المتشابكة .
ولا يزيد أن تضرب الأمثال بالشعر الأوربي ، أو الشعر المصري
النائي . ولكن زيد أن نستدل بالشعر العربي نفسه ، أيام الدولة
العباسية ، حينما تفتحت جوانب الاحساس ، بتنوع المناظر ، وتركب
الطبيعة ، وارتقاء ألوانها .

على أن أموراً جديدة في الدولة العباسية - غير البيئة الطبيعية -
قد ساعدت على هذا التفتح . تلك هي ارتقاء الملكات الفكرية بما ذاع
من علوم الثقافة العربية والمؤلفة ، والاختلاط بالأمم المجاورة وترباط
الشعب العربي ، ونوع الحكومة ، وعلاقات الأفراد وتشابك المصالح
وبالجملة كل شؤون الحياة التي انقلبت في هذا العهد وارتقت . فكان لها
أثرها في رقة الشعور وتهذيب الذوق ، وتناسق الخيال ، والتعمق في
الاحساس ، وإخراج الصور النفسية المركبة المتشابكة ، بقدر ما كانت
تهيء النفسية العامة إذ ذاك .

والباحث في تدرج الشعر من الجاهلية إلى العصر العباسي يلحج فيه
هذا التدرج المحسوس ، من البساطة إلى التركيب ، ومن السطحية إلى

التعمق ، ومن التناثر إلى التآلف . وقبل عمر بن أبي ربيعة مثلاً ، لم
يكن ينتظر من شاعر عربي أن يقول عن امرأة .

دمية عند راهب ذي اجتهد
صوروها في جانب الهراب

دمية . وهذه الدمية عند راهب ، وهذا الراهب مجتهد في رهبنته
وصوروها في جانب الهراب ، ليخلعوا عليها ظلاً من الرهبة أقوى .

هذا خيال مركب ، وإحساس عميق ، لم يكن ليكون إلا في العصر
العباسي ، وإلا من شاعر منتظم الفكر والتصور ، مهذب الخيال كعمر
ابن أبي ربيعة .

وكذلك تلاحظ ظاهرة أخرى في أوائل الدولة العباسية ، قد
تكون لها ببعضنا علاقة : هذه الظاهرة هي التعبير عن الأشياء الجديدة
التي وقع نظرهم عليها من المناظر والآكل والملايس ؛ التعبير عن هذه
الأشياء الجديدة ، تعابير حسية ، تشعر بالدعشة التي خلجت صاحبها .
شأن الطفل يرى النفاحة لأول مرة ، فإذا هو يلسها ويدوقها ويشمها ،
مهتدياً بحواسه ، حتى يقنع ويتأكد مما يراه ، قبل أن تصير شيئاً عادياً ،
لا يسترعي اهتمامه بعد أن يدرسها ويألفها . لذلك كثر وصفهم للورد ،
والسرين ، والجنار ، والخوخ ، والنفاح ، والبرقوق ، والموز ، والقصور
والحدائق ، وصفاً مبنياً على الحواس لا يتمداها . وكانوا في ذلك معذورين
في المبدأ . حتى إذا انقضى عهد الدعشة والاعتماد بهذه الظواهر تدرج
وصفهم الحسي ، وأصبح أقرب إلى الشعور النفسي ، منه إلى النظرة

الحسية . وإن يكن ذلك كله تقدير . لأن طبيعة بلاد العرب و الصحراء
ظلت عاملاً معاكساً للعوامل الأخرى ، بضعف المؤثرات الجديدة ، التي
طارت على النفس العربية ، فأبطأ لذلك التدرج في سبيل العمق والتركيب
والنظرة النفسية . . . ولنضرب على ذلك مثالا :

بلاد العرب مع ازدهارها بالخيال والمخاض ، واعتراضها الرجل
العربي في رحلاته وتقلاته . لم تستلغ انتباهه العميق ، ولم تستطع أن
تخرج صورة رائعة ، كما أخرجتها في بلاد الاندلس على لسان ابن خفاجة ،
حين يصف الجبل :

وأرعب طامح الذؤابة شامخ
يطاول أعنان السماء بفارب
يصد مهب الريح من كل جانب
ويحجم ليلا شهباً بالناسك
وقور على ظهر الفلاة كأنه
طوال الليالي ناظر في المواقب
أصغت إليه وهو أخرس صامت
فحدثني ليل السرى بالمعجائب
فقال : ألا لكم كنت ملجأ فاتك
وموطن أواه وموئل تأب
وكم مر بي من مدلج ومؤوب
وقال بسفحي من مطي وراكب

ولاحظ من نكب الرياح معاطفي
وزاحم من خضر البحار جواني
فما كان إلا أن طوتهم يد الردى
فطارت بهم ربيع النوى والنواب
فما خفق أبكى غير رجضة أضلع
ولا فوح ورقى غير صرخة نادب (١)
وما غيض السلوان دمعي وإغما
نفت دموعي من فراق الحباب

* * *

فلى بما أبكى وسرى بما شجى
وكان علي ليل السرى خير صاحب
وأسمعي من وعظه كل عبرة
يترجمها عنه لسات التجارب
فقلت وقد نكبت عنه مطي
سلام : فانا من مقيم وذاهب
هذه الصورة العميقة الهادئة ، لم تكن لترقب في الشعر العربي بلاد
العرب الأصلية ، ولم تكن لنطعم يوماً أن نجد نظيرها إلا في بلاد كبلاد

(١) منعقب على هذين البيتين .

الأندلس وما يائها ، حيث الطبيعة عميقة ، ذات ألوان عدة . ثم انت
الاطمئنان هكذا الى الجبل ، ومناجاته ، والأخذ منه والبطء ، كل
ذلك لا يكون إلا إذا كان جبلاً مأموناً يقوم في وسط العمران كجبال
الأندلس ، فلا خوف فيه . أما الجبال في صحراء العرب ، فهي مخوفة
مقطوعة ، لا يطمئن سالكها اليها ، بل هو يعاديها وينفر منها ، فليس
طبيعياً أن يناجيها ، أو يستمع لها حديثاً ، غير حديث الذعر . الذعر
الذي قد لا يجهل أن يتحدث ! . ولو كان غير الشاعر العربي السطحي
الاحساس لحديثنا أيضاً عن هذا الذعر في نفسه ، والخيالات والأوهام
المتشابكة في خاطره .

ومع إعجابنا وابن خفاجة في وصفه هذا الجبل ، فإننا نأخذ عليه في
بنتين من قصيدته ، نحله وتعليله وهما :

فما خفق أيكي غير رجفة أضلع
ولا نوح ورفي غير صرخة نادب
وما عيض السلوان دمعي وإنما
زفت دموعي من فراق الجباب

فالجبل هذا الرائع الفخيم الوقور على ظهر الفلاة . . . الخ . ونوح
ورقه صرخة نادب ، وهو نادب الساء لأن دموعه زفت على فراق
جبابه ، وليس السلوان هو الذي غيظ ماءه ! . وهو تمحل وتكلف
يفسد هذا النسق . وتلك ظاهرة في ابن خفاجة الأندلسي تذهب بكثير
من روعة شعره .

وعلى أي حال فقد عرفنا من هذه القطعة أثر الطبيعة في الشاعر
وموقفه منها ، ونود أن نذكر مثلاً آخر بين موقف الشاعر من الطبيعة
في بلاد الأندلس في قول حمدونة :

وقانا لفحة الرمضاء واد
سقاء مضاعف الغيث العميم
زلبا دوحه فحنا علينا
حنو الرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا
ألد من الدامة للنديم

فهنا صداقة بينها وبين الطبيعة ، لأنها تحنو عليها وتؤنسها . أما في
صحراء العرب ، فالشاعر عدو للطبيعة لا يألفها ولا يأمنها . وإس منه
وبينها الا القطيعة والجفاء .

وركب كأن الريح تطلب عندهم
لها ترة من جذبها بالعصائب
فالتبيعة عدوة تطلب ثأرها . وهذا أحد العوامل التي جعلت الشعر
العربي بعيد الاتصال بالكون ، متجافياً عن الطبيعة ، يعادي بعضه بعضاً
كما قدمنا .

عودة الى تناسق الخيال :

والآن نرجع الى الذوق في الشعر ، ولنشام الخيال في القصيد ، كما

نقرأ في قصيدة الأستاذ « محمود عماد » رثاء للفقيه العظيم سعد زغلول ،
والأستاذ عماد في نظرنا صورة للشاعر الصادق الاحساس الملهم الفطرية ،
الذي ندعو اليه . وان كنا سنذكره هنا في سقطة من سقطات الشاعر .
وفي هذه القصيدة يقول وصفاً للجواهر المائدة بعد دفن الزعيم :

هالوا على الأمل التراب وأقبلوا
يتلفنون بعبرة وقسام
متظلمين على الطريق كأنما
كانوا يجلس نشوة ومدمام

تذاكرون عهد سعد ، بينهم
مثل الكهول تعيد ذكر غرام
وهي سورة صادقة عميقة لهذه الجماهير ، يذكرها كل من حضر منا
ذلك الشهيد الرهيب ، وفي « متظلمين على الطريق » وصف دقيق لذلك الألم
الذي يترنح صاحبه ، ويتظلم على الطريق . ولكن تلك الروعة الضافية ،
قد أفندناها علينا التشبيه . « كأنما كانوا يجلس نشوة ومدمام » لأنها مهما
دلت على الاعياء والذهول . فهي تشير من طرف خفي بالاستهتار والخفة ،
التي تكون في السكاري ، مهما كانوا ذاهلين محطمين ، وهو ما لا يليق
بتصوير ذلك الهم العارم الخيم على الذين :

هالوا على الأمل التراب وأقبلوا
يتلفنون بعبرة وقسام
هنا صورتان يمشيها خيال الشاعر : إحداهما واضحة وهي صورة الألم ،

والأخرى مستحفية تلمح عن بعد وهي صورة النشوة وهما صورتان غير
متناسقتين في الاحساس الدقيق .

نعم : إن الشاعر لم يقصد من الصورتين الا إحداهما ، ولكن ماذنبنا
نحن إذا كانت الصورة الأخرى تترأى لنا عن بعد فتفسد علينا الصورة
المقصودة ؟ ونحن لا نعرف التسامح في هذه الناحية ولا نميل لتصيد العاذر .

وشوقي إذ يقول عن أبي الهول :

إلام ركوبك متن الرما

ل اطي الأصيل وجوب السحر ؟

إنما يرتكب الغلطة نفسها بل أكثر ، لأن أبا الهول الرائع الصامت
الرائض الجليل ، لا يوحى الا بالوقار الدائم ، والجلال الرائع ، الوقار الذي
يتعارض مع صورة الحركة التي تمثل للذهن من « اطي الأصيل وجوب
السحر » فهو لا يطوي ولا يجوب ، ولكن الأصيل والسحر هما الإذان
عيران به ، وهو صامت ساكن رهيب .

ومثل هذا محتمل ، وهو كما رأيتم يحتاج الى دقة في بيان زيفه لا
يلتفت اليها كل انسان ، ولكن هناك صورة من فساد الذوق ، تلصقها
الأيدي ، وتراها العيون ! ذلك أن نجد في بعض الأحيان شاعراً برثي
فقيداً ، يقيم له الدنيا ويقعدها ، ثم تجده ينتقل بك فجأة من هذا الوسط
الزاهر بالحزن والفجعة ، ليمدح نفسه ، ويفيض في وصف شعره ومثاقفه
ومقدرته . . . فلا تحس إلا أن هذا القائل دجال مهرج مزيف العاطفة ،

لا يحسن حتى التزييف ، لأن الطبيعة الانسانية الصادقة ، لا تفكر ساعة الحزن الفاجع ، في أشياء شخصية صغيرة ، لا تكون الا ساعة النشوة والفرح والسرور ، وفي مثل هذا فوق تزييف العاطفة ، سوء ذوق ، وحقارة نفسية ، لا تفرق بين موضع القناء ، وموضع العويل ، وهو شيء لا نستطيع قبوله شعراً ، بل لا نقبله إحساساً من مجرد إنسان !

تري لو أنك في مأتم ، وجلس أحد الحاضرين ، ليمدح نفسه بماشاء ، وليذكر فعاله المدهشة ، وجرأته الخارقة ، أو ليتباهى بلبسه وحسن برته ! ، بينما الجمع يتحدث في الفجيعة ، وفي النكبة التي حلت بالاسرة ، ترى كنت تطيق أن تصبر على هذا المنعوذ حتى يتم حديثه هذا الزري الزائف ؟ فاذا كنت لا تصبر على مثل هذا الخليط من فرد عادي ، فكيف نصبر على شاعر يقف لرثاء زعيم أمة كمصطفى كامل ، فيقول مثلاً :

وأنا الذي أرتي الشموس إذا هوت

فتعيد سيرتها من الدوران

أو يصف نكبة دمشق وقد هدمها الفرنسيون جدرانهم ، وبات الاطفال والنساء في العراء ، ثم يقول :

رواة قصائدي . فاعجب لشعر

بكل محلة يرويه خلق !

الآن هذا شعر ، وذلك كلام ، تطيق أن تسمع هذا ، ولا تطيق أن

تسمع ذاك ؟ ... شعرك ؟ وما شعرك بأشوق بك حتى تذكره وتفتخر به ، والناس في شغل عن مثل هذه السفايف ، بالفجيعة الداهية ؟ ! .

ولا أريد أن أفيض في أمثلة من هذا النوع فأتم كثيراً ما تقع أنظاركم على مثل هذا النوع من الرثاء الآن ، من أولئك الذين خصصوا أنفسهم لرثاء كل راحل كالناديات المأجورات . وقوديع كل مسافر ، واستقبال كل قادم كخدم الفندق . لأنهم فقدوا شخصياتهم التي يعتزون بها . فليس كثيراً بعد ذلك أن يفقدوا الشعور الانساني والذوق الملهم ، والاحساس النبيل .

* * *

التعبيرات الشعرية

الاساليب البراقة :

بعد هذا نتقل الى التعبيرات في الشعر . ولسنا نريد أن نقول : إن ألفاظاً بعينها ، أو تراكيب خاصة ، تليق بالشعر وأخرى لا تليق ، فنحن آخر من يفكر في الصياغة ، وآخر من يعتقد أن للتراكيب قيمة في تقدير الشعراء ، إلا بمقدار ما تؤدي من احساس ، وتصور من شعور . لا بل انما لنقيم - الى حد محدود - على هذه الاساليب البراقة ، التي كانت سيلا لاخفاء ضعف الشعور ، ونضوب الاحساس عن أعين الجماهير ، بل أعين كثير من المشتغلين بالادب واستطاعت بفخامتها الزائفة ، أن ترفع الى مصاف الشعراء العظام دجاجة مهرجين .

نقيم على هذه الاساليب البراقة ، لانها كانت مخبأ للصوصل الشعر ، يحتمون به ، ويأتون بالمعنى التافهة الحقير ، والاحساس التافه البسيط ، فيحوظونه بهذه الزخارف البراقة ، فإذا هو أمام العادي من الناس شعر ، يقدر صاحبه ويعظم ، ويحبي . النشء الجديد يرى من تقديس الجمهور لذلك الشاعر الزيف ، ما يحمله على دراسة ما أنتجه ، دراسة العجب ، التافه عن الميوس ، فتفسد فطرته لتشبعها بهذا السخف ، ويسير في طريق التزييف الشنيع .

التعبير الشعري والتعبير النثري :

لسنا نريد إذن أن نتحدث عن الألفاظ والتراكيب ، ولكن نريد أن نتحدث عن التعبير الشعري من ناحية تصويره للمعاني والاحيالة ، وفي هذه الناحية يتميز التعبير الشعري عن التعبير النثري فيحسن أن يكون مجازاً لا مفصلاً ، بحيث يريك جانباً من المعنى أو الصورة ، ثم يدع لذهنك أن يستلهم بقيتها ، ويترك تخيالك أن ينطلق فيكمل ذلك الجانب من الصورة . حتى لا يأخذ على خاطرك الطريق ولا يقفبه أمام التعبير المسهب البسوط ، وهذه ميزة الشعر على النثر ، ولعل هذه الميزة مستمدة من طبيعة الشعر الذي يخاطب العاطفة المبهمة أكثر مما يخاطب الفكر المحدود ، العاطفة التي لا تعرف القيود ولا التحديد ، ولكنها تتدفق في كل واد ، مع ملاحظة التماسق والالتئام ، وهذه العاطفة تقف جامدة عند التعابير المفصلة التي تبسط كل جزئية ، لأنها تفقد وظيفتها ، وهي إدراك الغائب من الحاضر ، والتدرج من الجانب الظاهر الى الجوانب الخفية .

ولإني لأذكر على سبيل المثال قول عمر بن أبي ربيعة :

إن خير النساء عندي طرا

من تواتي بوصلها ما هوشا

فأذكرني العهد واللوايق منا

يوم آليت لا تطيعن فينا

فإن « آليت لا تطيعن فينا » بهذا التوضيح الذي أنتجه حذف المفعول ، فيها من الروعة ما فيها . ولكنه أقصد علينا هذه الروعة المبهمة ، فقال بعد ذلك :

قول واش أنك عنا بعصرم

أو نصيح يريد أن تقطينا

وقد كنا في غنى عن ذكر المفعول ، الذي لم يأتنا بشيء جديد من عنده ، فقد فهمنا من « يوم آليت لا تطيعن فينا » أنها لن تطيع « قول واش ولا نصيح » وأحسننا ما هو أكبر من ذلك ، وهو أنها غير مستعدة أن تستمع مجرد استماع لمن يتحدث فيها !

وقريب من هذا قول « عبد العزيز عتيق » عن طفل :

ملك أنت مثقل باهاب

كيف يرضى الملاك ذاك الاهابا ؟

وبينا نحن في عالم آخر غير العالم الانساني بأجمعه ، نهوم مع هذا الطفل ، أو هذا الملاك ، في عالم الملائكة الجميل ، بينا نحن كذلك اذا هو يهبط بنا الى الارض فيقول عن هذا الطفل :

لك قلب عن الرذائل عف

ما ألتفت أن يرى الحق عابا

أهذا فقط ؟ . أكل ما هنالك أن قلب هذا الطفل ، يعف عن الرذائل ولا يرى الحق عيباً ؟ وكان منذ لحظة ملكاً ، لا يعرف ما الرذائل حتى يعف عنها ، ولا ما الحق والباطل ، حتى لا يستنكر الحق ؟ فقط لا يستنكره !

لا . لا . ياسيد عبد العزيز ، انسا لن تقبل منك هذا ، وما كان أجدرك أن تتركنا في عالم الطفولة البريء ، أو عالم الملائكة الوديع !

وفي مثل هذا الخطأ الدقيق ، وقع « علي عبد العظيم » ، اذ يقول
عن قلبه :

كان بالامس روضة تتجلى

في رواء أنعم به من رواء

ثم لا يدعنا نفهم ما في هذا التشبيه من حياة وروعة ، وأن نحس
الحياة النايضة في قلبه ، كما تبض في الروض ، وأن الآمال التي زدهر
فيه ، إنما تبث كالزهرة الندية العيقة ... الخ . لا يدع خيالنا في نشوته
فيحدد لنا المجال بقوله عن هذه الروضة التي شبه بها قلبه :

جمت بين لايتها فنونا

من ضروب الاثمار والازياء

من ورود تكاد تقطر حسنا

يفعم القلب بالسنا والسنا

ويذهب يمد لنا ما في روضته : من بطاح ، وغصون ، وثمار ،
وغدير ، ونسيم ، فإذا نحن أمام منظر عرفنا آخر ما به ، فلا شوق فيه
لجهول ، بل إذا بنا قد نسينا قلبه وما فيه ، لنذكر هذه الروضة التي يصفها ،
ناسين أن قلبه فقط يشبهها !

شعر الغزل والتعبير الشعري :

وتمت ناحية أخرى في التعبير الشعرية ، فنضطر للحديث عنها
ولا سيما في شعر الغزل ، اذ ان جماعة من التأديين ، ملكيون أكثر من
الملك ! بمعنى أنهم ينقدون في الشاعر استخدام تعبير خشن وهو يتغزل ،

ذلك أن الغزل في نظرهم ، لابد فيه من الثأنت والرخاوة والرقعة ، التي
يكاد صاحبها يتلاني من اللطافة !

ولا ندري مم نشأ هذا الاعتقاد ؟ - والحب عاطفة انسانية ، تكون
هادئة وثائرة ، راضية وحائرة ، وهي في كل حالة تحتاج الى تعبير مناسب
وأغلب الظن أن ذلك نشأ في أواخر أيام الدولة العباسية يوم كثر التطري
والجئون ، وفقدت المواطف قوتها الروحانية فصارت مظاهر للمجاملة ،
ولجائس الانس واللغو ، التي لا بد فيها من التظرف والتخث في كثير
من الظروف !

لا يا حضرات ! إن الحب ككل عاطفة قد يشور ، فيجرف ويحطم ،
في قسوة وعنف ، فلا يكون ذلك عيباً فيه ، وإنما لتعجب جد الاعجاب
بقول « عبد العزيز عتيق » :

علمت ما مواقف الصمد منكم

كيف تقسو عليكم ثم تقسو !

فلنا عن مجانة الامس شغل

ولنا في تنابيع الهجر درس !

كم صبرنا لهجركم كم صبرنا

فلذا القلب جامد لا يحس !

واذا اليأس أتلّف القلب حتى

لم يعد فيه للتعبير قوس

وكأي من ليلة قد قضاها
كلما خف بأسه عاد بأس

★ ★ ★

أيها الرسل الدموع غزاراً
لا تهجني فم يعد فيك انس

أنذا ما قسوت هجراً بهجر
تلتوى كأنما بك مس ؟ !

لا تحاول أن تعطف القلب يكفي
أن قلبي لحبك اليوم رمس :

إن دمعاً ريقه اليوم خلا
لحو دمع في شريعة الحب بحس

نعجب بهذه الأبيات، على رغم ما فيها من قسوة في التعبير، لأننا ندرك
العاطفة التي انبعثت عنها، وهي عاطفة طبيعية، توجد في كثير من الأحيان،
وكذلك نعجب بقوله علي عبد العظيم، وهو أقل من هذا قسوة :

وضح التصنع وانجلت أوهامي
فدعي ربابك وأذهبي بسلام

وذري الخداع فقد مضت أيامه
وأفقت من نومي ومن أحلامي

وعلمت أنك في ليلتك غير ما
خلعت عليك جلالها أوهامي !

فإليك عني وأخذ عني غيري كما
خادعتني في سالف الأيام !

★ ★ ★

واضيعة الأسماء فيك تظلمتها
فكأنها نظمت على أقدام !

لا نذكري الاخلاص ، أنت قبرته
في مهده بالرجس والآثام

أين الوفاء ؟ وأين منك عهدده ؟
ضيعتها ! وحنثت في الأقسام !

ذهب الوفاء وأهدرت حرمانه
فملى الوفاء تحيتي وسلامي

لا بل . إن هناك قسوة أشد من هذه وتلك ، تدخل فيها شعور
الشاعر بكرامته ، فثار لهذه الكرامة ، في الوقت الذي كانت عاطفته أيضاً
في ثورتها :

أذهب وخلفني هنا مثلاً
لا تلقني سمحاً ولا متجهاً

اذهب وخلفني تذوب حشاشتي
وبيض قلبي من قرارته دما

اذهب فلن أشكو إليك عواطفني
يوما ولن ألقاك الا أبكيا !

أرخصت حبي اذ شئتك بعضه
فليق مكبوحا اذن منكما !

ان كان بث الحب عندي مأثما
فكذلك عندي سوف يندو مأثما !

في هذا قسوة ولا ريب ، ولكنها قسوة الغاضب الكرامته وحيه ،
وهي أدل على التعلق بالحب والتفاني فيه ، بخلاف ما يفهم أسيادنا الحذرون
التلطفون ! ! !

ان الشاعر انسان ، وانسان حساس ، وهو في عواطفه غير خاضع
لهذا النوع من التقيد ، الذي يربذونه عليه ، وذلك التكلف الذي تحتمه
مجالس الانس ، وحفلات السمر ،

وان للشاعر شخصيته ، التي قد تبدى في مثل هذا الغضب لماطقته ،
أكثر ما تبدى .

شخصية الشاعر

وهذا الحديث يجزئنا للتحدث عن شخصية الشاعر ، فهو كما عرفناه
شخصية ممتازة حساسة ، شديدة الحساسية ، عميقة الشعور .

والمفروض بعد ذلك أن للشاعر مكانه الممتاز ، بين الداعين الى
المثل الأعلى . في أية صورة من صور الدعوة . وهو اذن سيؤثر في الوسط
الانساني المحيط به ، ويقوم بمهمة التعارف بين الجماهير والحياة الخفية الاسرار ،
كما يطلعهم عليه من صور فنية لهذه الحياة .

والعروف في الدراسات النفسية ، أن الانسان لا يستطيع التأثير في غيره ،
ما لم يكن ذا شخصية واضحة يمتاز بها ، ولا يفرط فيها . شخصية واضحة
تتطبع الاقناع الصامت ، والاغراء بالثبات . وما لم يكن هو شاعرا
بشخصيته هذه ، عن طريق مباشر أو غير مباشر حتى يعرف لها قيمتها ،
ويعتمد عليها في مهمته التي يؤديها .

والذي يقصده بشخصية الشاعر ، لنحنا الى جانب منه في أول الحديث ،
حينما أردنا أن يصور لنا الشاعر الصور والاحاسيس ، كما يراها هو ويشعر
بها ، لا كما تراها سائر العيون ، وأن يتعمق في بواطنها فيكشف لنا
الخبوء منها والدفين ، ثم يطفو بهذا الذي عثر عليه ، فاذا هو في تناول

الأفراد العاديين ، وعندئذ تكون للشاعر قيمته بين هؤلاء الذين خصته الحياة ليخاطبهم بلسانها ، ويكشف لهم عن أسرارها وخفاياها ، وحبته من المشاعر والمدارك ما يكفل له أداء واجبه على الوجه المطلوب .

فهم من هذا أن الاحساسات النفسية للشاعر ، هي مجاله في التعبير ، لأن هذا الاحساس ، هو الذي يتميز في كل شاعر عنه في الآخر ، أما الألفاظ والمعاني فهي حياءء مالم تصل بذلك الاحساس وما لم تكن منبعثة عن شعور . وأنا حين أنقلُـر في الشعر ، لأسأل : هل حسنت معانيه ؟ هل راقى أخيلته ؟ هل رقت ألفاظه ؟ ... لا أسأل شيئاً من ذلك ! ، ولكن أسأل : هل كان هذا الشعر صادراً عن إحساس نفسي ، وتأثر وجداني ؟ هل هذه المعاني والأخيلة منتزعة من تلك النفس أصيلة فيها ، أم هي لقط من هنا ومن هناك ، لا تتصل بنفس الشاعر ، ولا تمت الى شعوره بسبب ؟ . ثم هل هذا الاحساس سليم عميق دقيق ، لا يكفي بظواهر الأشياء بل يدرك خفايا الصلات أم هو إحساس سطحي خاطف ؟ . وبعد ذلك كله أسأل هل استطاع ذلك الاحساس أن يختار المعاني المناسبة له ؟ ، وهل صورت هذه المعاني في ثوب لائق بها — من الألفاظ ؟ ... وذلك في نظري هو الترتيب الصحيح لما تتطلبه في الشعر بحسب الأهمية !

إن الشاعر إنسان ممتاز ، فهو صورة من صور الحياة السامية ، فإذا هو استطاع أن يصور لنا نفسه وعواطفه ، يكون قد أخرج لنا صورة من الحياة النابضة الحساسة ، صورة مميزة عن بقية الصور ، تزين بها

متحف الحياة الجامع ، صورة واحدة وكفى ، لأنه لا يستطيع أن يخرج لنا جميع الصور ، ولكنه يتعاون مع أخوانه الفنانين جميعاً ، في ترزين هذا المتحف ، لأن كلا منهم سيصور لنا نفسه ، فلذا نحن في النهاية حاصلون على صور شتى ، متباينة المظاهر متحدة الأصول وإذا بنا قد كسبنا هؤلاء الشعراء كسباً جديداً لأنهم أروا من الحياة الداخلية مالم تكن نراه ، وأمدونا بفلسفات مختلفة في الحياة .

فأما إذا كان كل منهم سيتناسى شخصيته ، ولا يعني بتصوير شعوره ، إزاء المشاهد والحوادث . فالذي سنحصل عليه منهم ، صور متشابهة ، ونسخ مكررة معادة . كما يحدث لو أن عدة مصورين ، بالفتوغرافيا ، أخذوا صوراً لمنظر أو مناظر . كان يفتينا عنها نسخة واحدة . وكذلك كان يفتينا في هذه المهمة شاعر واحد من هذه الكثرة الصاخبة التي نقول لنا كل يوم جديداً من الشعر ، لا جديد فيه ! . وفي هذه الحالة نكون الحياة عابثة في إخراج هؤلاء جميعاً ليتفنوا بقبشارة واحدة ، ونفمة لا تنوع فيها على بحر الدهور . وبالضيمه الشعر والشعراء . ان كانت كل مهمتهم في الحياة ، أن يخرجوا لنا صورة واحدة ، ونسخاً مكررة ، بعد هذا المجهود الطويل !

وقد يقال : إن هذه دعوة الى الشعر الشخصي — الغنائي — الذي هو أول مراتب الشعر ، والذي لم يعد يكفي وحده الآن لتعبير عن الحياة ، دون الشعر القصصي ، والشعر التمثيلي ، وهما المقدمان في هذا العصر ، وإن يكن الشعر العربي لم يأخذ منها الا بنصيب قليل .
ومثل هذا القول خطأ في فهم ما يريد من وضوح شخصية الشاعر ،

وتغير احساسه فيما يخرج له لنا من صور الحياة، ذلك أنه ما من شعر قصصي أو تخيلي . الا وعليه مسحة من نفس قائله الشاعر وكيفية نظره الى الحياة، وفهمه لطبيعة الحوادث والاشخاص الذين يحلهم أو يقص عنهم. والال أصبحت جميع الروايات التمثيلية والقصصية سواء في تحليل الحوادث والشخصيات. ولم يقل أحد بذلك ، ولا يمكن أن يقول ، وها هوذا الفن القصصي ، والفن الروائي يختلفان بالنسبة للأمم ، فضلا عن الاشخاص . فالفن الانجليزي غير الفن الفرنسي وكلاهما غير الفن الروسي الذي أخذ يظهر في جو مصر ، ذا شخصية قوية . فالشخصية واضحة في فن كل أمة . ثم ان فناني كل أمة يختلفون فيما بينهم باختلاف شخصياتهم .

الشاعر والعصر :

ولعل جماعة آخرين يقولون : إن الشاعر يجب أن يكون صورة لعصره ، لا لشخصه . وهو لا يستطيع أن يكون كذلك ، حيناً يعمد الى نفسه يستوحى بها ، ويصور ما يتخالجه من احساسات فردية وزروات شخصية ، لا علاقة لها بالآخرين ، ولا تعبر عن الوسط ولا تترجم عن العصر الذي عاش فيه الشاعر .

وفضلاً على أن الشاعر غير مقيد الا بأن يعبر عن نفسه وخواطره ، دون أن يلاحظ أنه يجب أن يكون صورة لعصره أو لا يكون ! فضلاً على هذا فالذين يقولون ذلك ، يقدرّون أن الانسان قطعة منفصلة عن الحياة . فهو إما أن يعبر عن نفسه ، أو يعبر عما يحيط به . ولا صلة بين الناحيتين ! وهم يفترضون أن الانسان لا يتأثر بالوسط الذي يحوطه ،

الا حيناً يعبر عن هذا الوسط . فأما حين يعبر عما يحس ويشعر ، فهو بعيد عن تأثير ذلك الوسط !

وفي هذا الفرض خطأ واضح . اذا طبق على مجرد إنسان لا بل مجرد حي من الأحياء . بله الشاعر الحساس السريع التأثر والتأثير في كل ما يحيط به من البيئات . هذه البيئات التي تكيف مشاعر الفرد العادي إلى حد كبير ، وتوجهه إلى طرائق مختلفة باختلافها سواء شعر بذلك أم لم يشعر . لأن غرائزه تتأثر كما يتأثر تفكيره وكل عنصر فيه . فهو في تعبيره متأثر بالعصر والبيئة ، وكل ما يحيط به ، سواء عبر عن هذا ، أو عبر عن احساسه . لأن احساسه ذاته وليد هذه العوامل إلى مدى كبير .

فالشاعر يستطيع أن يعطي صورة لعصره في الوقت الذي يتحدث فيه عن نفسه وخواطره وخلجاته . وهي صورة غير مبثورة نعم ، ولكن الباحث الفني الدقيق ، يستطيع أن يستخلص هذه الصورة بعد عملية التحليل .

وقد لاحظتم في كل النماذج التي اخترناها لشعرائنا الناشئين لحة من البؤس : الصامت أو الصارخ . ومن الشكوى والتخبط والحيرة . وبعضكم يعجب لهذه الظاهرة المتشائمة الشاكية المضطربة ولكن ذلك في نظرنا دليل صدق هؤلاء الشعراء وسلامة فطرتهم . فهم صورة من النفسية المصرية العامة في هذه الفترة . فترة الانتقال والحيرة والاصطدام في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الاصطدام الذي تخيب فيه الآمال ، ثم تبدأ في الاتعاش . ثم تصطبغ من جديد !

مدوا بأبصاركم في كل فواحي الحياة المصرية . ألا ترون التصادم بين
القوى الناشئة ، والظروف المحيطة بها ، التي تناوئها مناوأة قاسية ؟ ألا
تسمعون الصيحات داوية بالألم والاستنكار من كل جانب ؟ فعلام اذن
لا يكون كذلك الشعر ؟ . وهو أدق معبر عن الاحساس الدفين .
علام يغرد الشعراء بأناشيد الفرح والمرح وكيف تدبر روح النشاط
الطروب في الفنون ؟

أنتصروا في موقعة حربية على جيوش الاعداء ؟ فيغني الجيش والشعب
أناشيد الظفر والسرور ؟ . أفتحنا في العالم فتحاً جديداً ؟ لابل ، أحصلنا
على استقلالنا المنصوب ؟ أتنفس بحرية في أي جو من الأجواء ؟ . ألبنا
عظمة صناعية على الأقل نتغنى بأثارها ؟ . ألبنا
عظمة علمية نغندج بزيائها ؟ ... ودع ذلك كله . ألبنا فقط سياسة تعليمية
رشيدة ! وهذا أبسط الشؤون ؟ !

كل مافي البلد جدير بالشكوى ، وكل مافيها يلذع بالألم . وأن
التألم والشكاة ، لدليل عدم الرضا ، ودليل السعي لتغيير هذه الحال .
وتلك عدتنا للمستقبل ، وأملنا الوحيد للاصلاح المنشود .

ولو أن هذه الشكوى الدائبة صمتت اليوم أو اقلبت إلى طهو ومرح ،
لكان ذلك دليلاً على الموت والاضمحلال . لأن الأمة التي لا تشكو من
مثل هذه الحالة ، أمة لا تحس ، فهي أمة في طريقها إلى الفناء الرهيب :
وان الذين يزلون اليوم أو يغنون ويعرجون . هم أحد فريقين : فريق
أناني مجرم لا يعنى بهذه الأمة ، ولا يحفل بآلامها لأنه في ظل نعمة ، ولا

علاقة له بالآخرين . وفريق ميت الوجدان ، ذليل الكرامة ، لا تنبض به
حياة إلا كاللوب والجراثيم !

ولهذا فان شعرائنا الناشئين الشاكين التأملين ، صدقوا في إحساسهم
وسيتركون وراءهم صورة واضحة ، لهذه الفترة الحائرة تطالعها الاجيال
في حين كانوا يتحدثون عن شعورهم الخالص وعواطفهم الكامنة في
الاعماق .

وأقرب ما يحضرني في هذه الناحية ، قطعة للشاعر الناشئ عبدالعزیز
عتيق ، قد لا تكون جيدة السبك ، ولا رائدة الاسلوب ولا عميقة
التفكير ، ولكنها قطعة صارخة تمثل لنا نظراته للحياة المصرية الراهنة
وتحفزه للعمل على تبديلها وهي :

لمن أشتكى مصرًا ؟ فاني بحرها
صليت على كرهه فلبسه من مصر !
بلاد بيت الأهل فيها على الطوى
ويحيا بها العربي يتعم في الخير
بلاد يعيش الأهل فيها كأنما
هم غرباء الدار عن ذلك القطر !
ويفرح فيها الضيم . والضيم آفة
تنبصره في كل ناحية يسري
ويمجزك التقيب عن وجهه نابيه
فلا تلتقي إلا بكل قتي غمر

وينتارى الغربى قد راض فكره

جراح الدياجي واعتلى ذروة الفخر

رانا نياما لانهم بجدات

سوى مسجد نسمى له أو إلى الدبر

وأقصى اختراع يشغل الفكر أمره

أنشيد لا تنفك تقرأ في الذكر !

ويا ليت فعل بنية خاشع

ولكنه فعل يسوق إلى الكفر !

★ ★ ★

فيا قوم هبوا وانفضوا الجهل عنكمو

وتادوا بتحرير العقول من الأسر

من العار أن نحيا ونذهب مثلاً

بدأنا ولم نترك سوى العار والخسر

الشعراء المزيقون وشعراء العاطفة :

وبعد فلدينا شعراء تعدهم الجماهير في مقدمة الشعراء ، تبحث في

كل ما أخرجوه ، فلا ترى فيه شخصية مميزة لواحد منهم ، تلح فيها

طابعه الخاص ، وفطرته للحياة ، وإحساسه بما يحيط به من مظاهر وما

يتخلله من خواطر . يعبر الواحد منهم عن كل النواحي ، في حين لم يعبر

في الواقع عن أية ناحية ! ، لأنه تعبير ككل تعبير ، يشترك فيه الجميع .

والسبب في ذلك ، أنهم لم يصدروا عن تأثر ، حتى يتميز إحساس عن

إحساس ، إن المعاني والألفاظ مشتركة بين الجميع ، أما الإحساس فهو

الذي يختلف في النفوس .

ترى لهؤلاء الشعراء في كل يوم قصيدة رثاء لمن يعرفون ومن

لا يعرفون ، ومدحاً لمن خبروا ومن لم يخبروا ، وقصائد في كل حفلة

تقام للوداع أو للتكريم ، وزلفى حقيرة للرؤساء وغير الرؤساء ، تعد

وصمة في جبين الإنسانية المنكوبة بتلك الجرائم .

هؤلاء جماعة فقدوا شخصيتهم ، فقداناً تاماً ، وجعلوا مهمة الشاعر

في الحياة ، فاندفعوا يرثون ويمدحون ، ويهتثون ويكرمون ويستقبلون

ويودعون ، وهم في كل ذلك لا يحسون إحساساً دقيقاً فيصورونه ، حتى

يأخذ هذا الإحساس شكلاً متميزاً . وإنما هو إرضاء لكل من يريد ،

وهو عبث دونه عبث التسولين وخدمة الفنادق الذين يودعون كل راحل

ويستقبلون كل قادم ، بإتسامة واحدة لا تتغير . وهؤلاء صنعوا ذلك

بأنفسهم لأنهم لا يحسون بأنفسهم ولا يفترضون لها كرامة ، ولأنهم

يريدون أن يشتهروا ، فلا بد لهم في كل مناسبة من قصيدة ، وفي كل

حفلة من تبعة !

وإذا كان هؤلاء مجرمين في حق الشعر والشعراء . بل في حق

الإنسانية ، فأشد إجراماً منهم أولئك الذين يصفقون لهم ويهتفون

وأولئك الذين يعتبرون الاكثار في كل مناسبة قدرة خالقة ، ولا يفهمون من الشاعر الا ذلك المهرج الالعبان ، الذي يستقبل القادمين وبودع الراحلين ، ويصف كل زلزال في بلاد واق الوان ، وكل نكبة في المريع ! والذي يريد ان يتنزل فيتخيل محبوبة هاجرة أو راضية ، ويروح يحدثها عن الدموع المسفوحة ، والفلذات الدامية ، ولا دموع هنالك ولا نشيج !

واذا كان لنا أن تسامح ولو قليلا ، مع جماعة النقل في التصوير والسطحية في الشعور ، فانا لا نستطيع بحال أن تسامح مع هذه الطائفة الاخيرة ، التي تتحدث لا عن شعور ، وتنشد لا عن عاطفة وتعد نفسها من الشعراء ، وهي محرومة من صفات الآدميين !

وان بعض هؤلاء ، ليحاول أن يعتذر عن هذا السقوط ، فيقول لك : أليس الشعر موهبة تستخدم كبقية المواهب فبما ينفع صاحبها ؟ « ينفع » ! بهذا التعبير ، فهو سلعة تجارية في نظرهم ، في الوقت الذي يفهم شبان ناشؤون ، أن الشعر أسمى من ذلك وأعز ، وان الشاعر لا يكون حتى يسمو على هذا العرض الزائل الزهيد ، يقول « عبد العزيز عتيق » عن شعره :

قلت أواء ليس ذلك شعراً

انه لقلب ذائباً من حنان

ويقول آسفا حزينا على أن الناس لا يقدرّون الشعراء ، ولا يسمحون لهم بالتفني والتفريد :

يا ضيعة الشعراء قد

هانوا ليس لهم محب !

أنفاسهم خفتت وكا

نت ما أرق وما أحب !

ويقول « علي عبد العظيم » كشاعر يفهم واجبه :

دعوني أذع في الناس ما قد بدا لي

فلست بنقييد القرائح راضيا

سأطلق نفسي من قيود ثقيلة

تحرم ادراك الحياة كما هي

وأسمو فأستوحى الحقيقة لها

وأنظمه شعراً يهز الرواسيا

وأسكب نفسي في شيا مسطوره

وأجعل جات القلوب قوافيا

وأزجيه شعراً يملأ النفس روعة

ويصلح أخلاقاً ويمحو مساويا

يرتله الشادون لحنا منسقا

ويدرس فيه الباحثون حياتيا

فما هو أفاظا غيت بجمعها

وان هؤلاء الا شعبة من فؤاديا

نعم فما الشعر ألفاظا ، وإن هو إلا احسان ملهم ، وفلذات
من القلوب :

انما الالفاظ والمعنى قشور
غير احسان رقيق ملهم

ويقول محمد الداخلي الهواري في قطعه دامية :

أتعجب بي وتجهل أن شعري
صدى لمواجع القلب الحزين ؟

وأنت حين تسمعه غناء
أحس به جحيا يحتويني

وتطرب منه لم تعلم بأنني
خلال نشيده أنسى شؤوفي

كحضر تودعه الأغاني
وبسك سمعه نغم الحنين

فالشعر هنا قطعة من النفس يقال الحاجة تثر فيها، لا للعبث أو الافتخار !
واني استبشر بالشعر النائي ما دام سائرا في هذا الطريق .

★ ★ ★